الفصل الرابع

جزيرة العرب

ليس بين أشباه الجزر شبه جزيرة تنيف على شبه جزيرة العرب في المساحة، فهي أكبر شبه جزيرة في العالم . ويطلق العلماء العرب عليها تجوزاً اسم (جزيرة العرب)[1] . تحيط بها المياه من أطرافها الثلاثة ، ومع ذلك لم يستطع الجو البحري أن يخفف من حدة الحرارة فيها ، ويتغلب على جفافها ، والأبخرة المتصاعدة من البحر لا تتمكن أن تصل الى أواسط بلاد العرب ، لإنزال رحمتها عليها . فإنّ الرياح السمائم ، وهي ذات الحرّ الشديد النافذ في المسام ، تتلقى الرطوبة التي تنبعث من البحار بوجه كالح عبوس ، ومقاومة تسلبها قوتها ، وتنتزع الرطوبة منها ، وتمنعها في الغالب من الوصول الى أواسط الجزيرة .

يحدّ جزيرة العرب من الشرق الخليج العربي المعروف عند اليونان باسم (الخليج الفارسي) (Sinus Persicus) ، وما زال يعرف بهذه التسمية المأخوذة عن اليونانية في المؤلفات المعاصرة . أما قدماء أهل العراق ، فقد عرف عندهم بـ (البحر الجنوبي) و(البحر الأسفل) و(البحر التحتاني) (Lower Sea)[2] ، وبـ (البحر الذي تشرق منه الشمس) و(بحر الشروق) (Sea of the Rising Sun)

---

١ الهمداني : صفة جزيرة العرب ، ص ٤٧ ، وسيكون رمزه : صفة ، الالوسي : بلوغ الارب (١٨٤/١ وما بعدها) ، معجم البلدان (١٠٠/٣) وسيكون رمزه بـ (البلدان) ، L.D. Stamp, Asia, an Economic and Regional Geography, P., 133.

٢ Ancient Iraq, by Georges Roux, London, 1964, P., 29.

وبـ (البحر المر)و(البحر المالح) و(نار مرتو) (Nar Marrtu) في الآشورية[1].

ويحدها من الجنوب المحيط الهندي ، وقد أطلق بعض الكتبة اليونان واللاتين على القسم المتصل منه بسواحل جزيرة العرب الجنوبية والملاصق لسواحل إفريقية الشرقية المقابلة لهذه السواحل اسم (البحر الأريتري) (Mare Erythraeum) ؛ أما (بطلميوس) فقد أطلق على الماء المحصور بين عُمان وحضرموت اسم (خليج سخاليته) (Sinus Sachalites) ، وأطلق على القسم الغربي الباقي اسم (بحر ربرم) (Mare Rubrum)[2] (Rubri Maris) ، أي البحر الأحمر . وقد قصد الاغريق واللاتين بـ (Mare Rubrum) في الغالب البحر الأحمر الحالي والبحر العربي والخليج العربي ، بل حتى المحيط الهندي، فهم يتوسعون في هذا الاطلاق كثيراً[3] .

أما حدّها الغربي ، فهو البحر الأحمر كما يسمى في الخارطات الحديثة المعروف باسم (الخليج العربي) (Sinus Arabicus) في الخارطات اليونانية واللاتينية ، وبـ (بحر القلزم) في الكتب العربية[4] . أما العبرانيون، فقد أطلقوا عليه (هـ ـ يم) (هايم) (اليم) ، ومعناه اللغوي : (البحر) من (يم) (يام) بمعنى (بحر) و (ها) أداة التعريف التي هي في مقام (ال) في العبرانية،وذلك بصورة عامة ، و (يام سوف Yam Suph) بصورة خاصة ، وبـ (سوف) و (سوفة) أحياناً[5] . وقد فسّر (البيضاوي) لفظة (اليم) ، الواردة في القرآن الكريم بهذا البحر ، أي البحر الأحمر[6] . وقد أريد بـ (Mare Erythraeum) وبـ (Mare Rubrum) البحر الأحمر أيضاً[7] .

وشكل البحر الأحمر ، شكل يلفت النظر ، يظهر وكأنه خسط منظم ممتد من الشمال نحو الجنوب على هيأة ثعبان منتصب ذي قرنين . أما باقي جسمه ، فإنه

---

١ Ancient Iraq, P., 247.

٢ راجع الخارطات اليونانية واللاتينية الموضوعة في هذا الباب .

٣ Quintus Curtius, I, P., 75.

٤ راجع الخارطات اليونانية واللاتينية ، بلوغ الارب (١/١٨٤ فما بعدها) .

٥ (سوف) في اللغة العبرانية ، بمعنى اعشاب ضارة ، حشائش ودغل .
Smith, A Dictionary of the Bible Comprising its Antiquities, Biography, Geography, and Natural History, Vol., 1, 1009, Hastings, P., 833, 967.

٦ تفسير البيضاوي (٧/١٣٢ ، ٣٤١) .

٧ Smith, Vol., 1, P., 1009.

البحر العربي . أما هذا الثعبان ، فقد كان أرضاً في الأصل، خسفت على هذه الصورة في الزمن الثالث من الأزمنة الجيلوجية[1] ، فابتعدت بذلك بلاد العرب عن إفريقية ، الا من ناحية الشمال ، حتى لا تكون هناك قطيعة تامة ، وارتفعت بذلك السواحل الغربية ، نتيجة انخساف الأرض ، فسالت الى الأرض المنخسفة مياه البحر العربي ، ولو تم الخسف ، وامتدّ الى (طور سيناء) فشطرها ، لما كانت هناك حاجة الى قيام الانسان فيما بعد باتمام العمل الذي لم تكمله الطبيعة ، وهو ايصال البحر الأحمر الى البحر الأبيض بقناة السويس .

وهناك من يرى أن البحر الأحمر كان بحيرة في الأصل ، وكانت إفريقية والعربية الجنوبية قطعة واحدة عند جنوب هذه البحيرة ، أي عند ما يسمى بـ (مضيق باب المندب) في الزمن الحاضر ، ولكن خسفاً وقع ، أدى إلى انفصال إفريقية عن العربية الجنوبية الغربية ، فاتصل المحيط الهندي بالبحيرة ، وتكوّن البحر الأحمر . وقد كان الناس قبل وقوع هذا الانفصال يتنقلون براً وكأن إفريقية وجزيرة العرب قطعة أرض واحدة ، ومن هنا كانت الهجرات .

أما خليج العقبة ، فقد عرف بـ (خليج أيلة) وبـ (خليج الأيلانين) ، (Sinus Aelanites) (Sinus Aelaniticus) في الكتب الكلاسيكية ، نسبة الى مدينة (أيلة) المسماة (ايلات) (Elath) و (ايلوت) Eloth عند العبرانيين . وهي مدينة مهمة من مدن (أدوم) (الأدوميين)[1] . وأما (خليج السويس) فقد عرف بـ ((Sinus Heroopolites) (Sinus Heroopoliticus) عند اليونان واللاتين[3] .

ويحصن مناطق واسعة من ساحل جزيرة العرب على البحر الأحمر صخور مرجانية تفتك بالسفن التي تتجاسر فتقترب منها ، نبتت في تلك المواضع لتحمي الساحل من وصول الأجانب اليه . ولكنها أضرت سكانه من ناحية أخرى ، اذ جعلت الملاحة صعبة في هذه الأماكن ، فقللت بذلك الاستفادة من الاتجار بالبحر، وقللت أيضاً من عدد الموانىء الصالحة لرسو السفن على هذا الساحل . وهناك جزر متفرقة تقابل الساحل،أكثرها مهجور ، وبعضها قليل السكان ، ومعظمهم خليط

---

١ بروكلمن : تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة الدكتور نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي (طبعة دار العلم للملايين) ، الجزء الاول (ص ١٠) .

٢ Hastings, P., 211, Smith, Vol., 1, 1009.

٣ Smith, Vol., 1, P., 1009

من دم إفريقي أسود ومن عرب ، عاشوا في الجاهلية وفي الإسلام على التعرض للسفن بالغزو وعلى الصيد .

ويرى بعض الباحثين أن البحر الأحمر لم يكن وحده نتيجة خسف أصاب بلاد العرب ، ففصلها عن إفريقية إلا من جهة (طور سيناء) ، بل ان سواحل بلاد العرب الأخرى ، أي السواحل الجنوبية والسواحل الشرقية ، تعرضت هي أيضاً لهزّات عديدة ، فخسفت في مواضع عديدة مثل (عدن) ، حيث تكون خليج عدن ، ومثل الخليج العربي ، وكانت هذه الهزات والتصدعات استجابة لتصدع واهتزازات حدثت في الشمال على مقربة من حدود بلاد الشام ، فامتدت الى وادي الأردن والبحر الميت فوادي عربة الى خليج العقبة . وهكذا تعرضت جزيرة العرب في عصور سحيقة في القدم قبل الميلاد لهزات وتحركات أرضية ، حتى جعلتها على الشكل الذي نراه عليه الآن[1] .

وحدّها الشمالي خط وهمي يمتد في اصطلاح العلماء العرب من خليج العقبة حتى مصب شط العرب في الخليج العربي ، فيكون النفود الشمالي من الحدود التي تفصل الهلال الخصيب عن جزيرة العرب . أما من الناحية « الجيلوجية » ، فإن باطن الهلال وحدة لا يستطاع فصلها عن تربة الجزيرة ، وجزء لا يختلف من حيث طبيعته الصحراوية وخواصه عن سائر أنحاء بلاد العرب . وأما من الناحية التأريخية ، فإن هذا الخط الوهمي المتصور ، هو وهم وخطأ ، فقد سكن العرب في شمال هذا الخط قبل الميلاد بمئات السنين . سكنوا في العراق من ضفة نهر الفرات الغربية ، وامتدوا في البادية حتى بلغوا أطراف الشام . وسكنوا في فلسطين وطور سيناء ، حتى بلغوا ضفاف النيل الشرقية . وهي أرضون أدخلها الكتبة القدامى من يونان ولاتين وعبرانيين وسريان في جملة مساكن العرب ودعوها بـ (العربية) وبـ (بلاد العرب) ، لأن أغلب سكانها كانوا من العرب[2] ، حتى ذهب بعض علماء (التوراة) ، الى أن (بلاد العرب) في التوراة ، هي مواطن (الإسماعيليين Ishmaelite) و (القطوريين Keturaean) ، أي البوادي التي نزلت بها القبائل المنتسبة الى (اسماعيل) و (قطورة) . وهي

---

١ B.R. 527 (Restricted), Geographical Handbook, Series for Official use only, Western Arabia and the Red Sea, June 1946, Naval Intelligence Division, PP., 11

٢ O'Leary, Arabia before Muhammad, P., 5.

قبائل بدوية ، كانت على اتصال بالعبرانيين . وهي بوادٍ تقع شمال جزيرة العرب وفي الأقسام الشمالية منها[1] .

أما (أربي) ، أي (العربية) في النصوص الآشورية ، و (ماتو أربي) (Matu A-ra-bi) ، أي (أرض العرب) و (بلاد العرب) في النصوص البابلية ، و (اربايا (Arabaya) (Arpaya) في النصوص الفارسية ، و(بيث عربايا) (Beth 'Arabaya) في الإرمية ، فإنها كلها تعني البادية الواسعة التي تفصل العراق عن بلاد الشام . أما حدودها الجنوبية ، فلم تحددها النصوص المذكورة[2] . ولكننا نستطيع أن نقول ان امتدادها كان يتوقف على مبلغ علم تلك الشعوب بالعرب ، وعلى المدى الذي وصل اليه تعاملهم في بلاد العرب .

فبلاد العرب أو (أرض العرب) (مت أربي) (Mat Arabi) (Mat Aribi) ، هي بادية الشأم أيضاً ، وهي كل الأرضين التي تحدها جبال (الأمانوس) (Amanus) في الشمال ، أي الأرضين التي تقع في جنوبها وكل شبه جزيرة سيناء عند (بلينيوس) (Plinius)[3] . فهن اذن أوسع جداً مما تصوره علماء الجغرافيا المسلمون لجزيرة العرب .

وإذا نظرنا نظرة عامة الى خارطة جزيرة العرب ، نرى أنها أرضون مرتفعة في الغرب ، تسيطر على السواحل الضيقة ، وتكوّن سلاسل من المرتفعات متصلاً بعضها ببعض ، تمتد من بلاد الشأم الى اليمن ، ويقال لهذه المرتفعات جبال (السّراة)[4] . وهي توازي ساحل البحر الأحمر ، وتقترب منه في مواضع عديدة. ويبلغ متوسط ارتفاعها زهاء خمسة آلاف قدم . أما أقصى ارتفاع لها ، فيبلغ زهاء ١٢,٣٢٦ قدماً ، وهو في اليمن[5] .

وأما الأرضون المحصورة بين هذه السلسلة وساحل البحر ، فإنها ضيقة ، تسيطر عليها هذه المرتفعات ، وتنحدر اليها انحداراً شديداً قصيراً . وسواحلها

---

١ Hastings, A Dictionary of the Bible, Vol., 1, P., 585.

٢ Encyclopaedia Biblica, Vol., I, Col., 273.

٣ Pliny, Nat. Hist., VI, 142. f., A. Grohmann, Arabien, S., 3.

٤ السراة : أعلى كل شيء ، وهنالك مواضع عديدة يقال لها سراة مضافة الى القبائل ، تاج العروس (١٠/١٧٤) ، البلدان (٥/٥٩) .

٥ C. Rathjens und H. von Wissman: Suedarabische Reise, Hamburg, 1934, Bd., 111, S., 2, Ency. Brit., Vol., 2, P., 169.

المهيمنة على البحر ، صخرية في أغلب الأحيان ، يصعب رسو السفن فيها[1] . وطالما تحطمت عليها السفن المنكوبة ، فتكون طعاماً للبحر ، وللأعراب الساكنين على السواحل ، فيكون من ينجو بنفسه من أصحاب تلك السفن وما يتبقى من حطامها ملكاً لأولئك الساكنين بحسب عرف أهل ذلك الزمان وعاداتهم .

أما الانحدار الى البحر العربي والخليج العربي ، فانه يكون تدريجياً وطويلاً ولذلك تكون الأقسام الغربية من جزيرة العرب أعلى من الأقسام الشرقية. وتتألف الأرضون الوسطى من هضبة تدعى (نجداً) ، يبلغ متوسط ارتفاعها زهاء ٢٥٠٠ قدم . وتمتد في الأقسام الجنوبية من الجزيرة سلاسل من الجبال ، يتفاوت ارتفاعها ، تسيطر على المنخفضات الساحلية ، وعلى ما يليها من أرضين من جهة البر ، وتتصل هذه بسلسلة جبال اليمن ، وتكثر فيها الأودية التي تفصل بين السلاسل ، وتأخذ مختلف الاتجاهات من الشمال الشرقي أو من الشمال الغربي الى سواحل البحر ، حيث تمثل اتجاهات المياه والسيول[2] . ويكون أعلى ارتفاع لسلسلة الجبال الجنوبية في أقصى الجنوب الشرقي من الجزيرة ، أي في عمان ، حيث يبلغ ارتفاع الجبل الأخضر زهاء عشرة آلاف قدم[3] .

وتتكون أغلب الأرضين في جزيرة العرب من بواد وسهول ، تغلبت عليها الطبيعة الصحراوية ، لكن قسماً كبيراً منها يمكن اصلاحه إذا ما تعهدته يد الانسان ، واستخدمت في اصلاحه الوسائل العلمية الحديثة . وأما الأرضون الصالحة للزراعة ، فإنها تزرع فعلاً لوجود المياه فيها . أما الأرضون التي تعد اليوم من المجموعة الصحراوية ، فهي :

١ — الحِرار ، أو الأرضون البركانية : وقد تكونت بفعل البراكين ، ويشاهد منها نوعان : نوع يتألف من فجوات البراكين نفسها ، ونوع تكون من حممها (اللابة) Lava التي كانت تقذفها ، فتسيل الى الأطراف ثم تبرد وتتفتت بفعل التقلبات الجوية ، فتكون ركاماً من الحجارة البركانية يغطي الأرض بطبقات ، قد تكون سميكة ، وقد تكون رقيقة ، تتبعثر فيظهر من خلال فجواتها وجه الأرض الأصلية .

---

١ Hitti, P., 14.

٢ Ency. Brit., Vol., 2, P., 169.

٣ Ency. Brit., Vol., 2, P., 169, Hitti, P., 14.

وفي مثل هذه الأرضين يصعب السير ، لانتشار الحجارة ذات الرؤوس الحادة فيها ، وتقل الاستفادة منها ، فتتحول شيئاً فشيئاً الى مناطق صحراوية ، والسائر اليوم في منطقة (اللجاة) في جنوب شرقي دمشق ، يلاحظ الطريق الذي سلكته الحمم المقذوفة[1] .

وقد وصف العلماء العرب الحِرار ، فقالوا[2] : الحَرَّةُ أرض ذات حجارة سُود نخرة ، كأنها أحرقت بالنار ، ويكون ما تحتها أرضاً غليظة ، من قاع ليس بأسود ، وانما سوّدها كثرة حجارتها ، وتدانيها . وتكون الحرة مستديرة ، فإذا فيها شيء مستطيل ليس بواسع ، فذلك الكراع ، واللاّبة واللوبة ما اشتد سواده وغلظ وانقاد على وجه الأرض[3] . فيظهر من هذا ان (الحرار) هي أفواه البراكين ، ولذلك تكون مستديرة . وأما اللابّة أو اللوبة ، فإنها المناطق التي غطتها حمم البراكين ، وسالت فوقها ، ثم جفت . وأما الكراع ، فإنها أعناق الحرار[4] .

---

١ Moritz, Arabien, Studien zur Physikalischen und Historischen Geographie des Landes, Hannover, 1923, S., 12.

وسيكون رمزه : Moritz

(اللجاة اسم للحرة السوداء التي بأرض صلخد من نواحي الشام ، فيها قرى ومزارع وعمارة واسعة) ، البلدان (٣٢٣/٧) .

٢ البلدان (٢٥٦/٣) ، تاج العروس (١٣٥/٣) ، ويقال للحرة المنعزلة في الرمال (بسقة) ، الطبرى (٢٢١/٣) ، وللنهير الذي يسيل من الحرار (شرج) و (شراج) ، وأحيانا (سواقي) ، البلاذري : الفتوح (١٢) ، المراصد (١٧٥/٢) ، المفضليات (ص ٢٤٥ ، ٤١٥) .

٣ لسان العرب (٢٤٢/٢) ، (لوابة) (لابة ولوبة) ، المفضليات (ص ٢٤٥ ، ٤١٥) ، البلدان (٣٥٧/٣) ، ويقال (حرة سوداء) ، الطبرى (٩٥٩/٢) (طبعة اوربة) ، وجاء ايضا (حرة رجلاء) ، صفة ص ٢٠٥ ، وقد علل الهمداني ذلك بقوله (سميت الحرة الرجلاء لانها ترجل سالكها ، ولا يقدر فيها على الركوب) ، صفة ص ٢٠٥ ، راجع كذلك معلقة الحارث ، بيت ٣٨ ، وجاء (حرة سوداء) ، Moritz, S., 11 وجاء كذلك (حامية) ، والظاهر انها من الفاظ العوام .

وقد كتب العلماء في (الحرار) ، كتبا ، مثل (كتاب الحرة) المنسوب الى ابي عبد الله محمد الغلابي ، (الفهرست ص ١٠٨) ، و (كتاب الحرات) لابي عبيدة (الفهرست ص ٥٩) ، (طبعة اوربة) (٨٠) طبعة المطبعة الرحمانية ، لسان العرب (٢٤٢/٢) ، وورد ايضا (لابة سوداء) ، (لوابة) و (لوبة) ، ابن سعد ، الطبقات (٢/١ ، ٢٥) ،
Moritz, S., 12, Anm. 1, Loth, in ZDMG., 22, 365-382.

٤ لسان العرب (٢٤٢/٢) ، (١٨٢/١٠) ، القاموس (٧٨/٣) .

وتكثر الحرار في الأقسام الغربية من جزيرة العرب، وتمتد حتى تتصل بالحرار التي في بلاد الشام ، في منطقـــة حوران ، ولا سيما في الصفاة[1] ، وتوجد في المناطق الوسطى ، وفي المناطق الشرقية الجنوبية من نجد حيث تتجه نحو الشرق ، وفي المناطق الجنوبية والجنوبية الغربية ، حيث تلاحظ الحجارة البركانية على مقربة من باب المندب وعنـــد عدن[2] . وقد ذكر علماء العرب أسماء عدد منها[3] ، كما أضاف اليها السياح أسماء عدد آخر عثروا عليها في مناطق نائية[4] .

وقد وردت في الشعر الجاهلي اشارات اليها . وكانت إحدى الحرار ، وهي (حرة النار) في عهد الخليفة عمر لا تزال ثائرة تخرج النار منها[5] . وقد ذكر أن سحب الدخان كانت تخرج في عهد الخليفة عثمان من بعض الجبال القريبة من المدينة[6] . وهذا يدل على أن فعل البراكين في جزيرة العرب ، لم يكن قد انقطع انقطاعاً تاماً ، وأن باطن الأرض ، كان ما زال قلقاً ، لم يهدأ .

وكان آخر حدث بركاني في الحجاز في سنة ٦٥٤ للهجرة (١٢٥٦م) ، إذ ثارت احدى الحرّات في شرقي المدينة ، واستمر هيجانها بضعة أسابيع ، وقد وصل ماسال من حممها الى مسافة بضعة كيلومترات فقط من المدينـــة التي كان نجاتها من الأعاجيب[7] . وكان أواخر القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر الميلاديين عهد زلازل وثوران براكين في مناطق آسية الغربية[8] . ومنذ القرن الثالث عشر الميلادي ، لم يبق أثر لفعل البراكين في مختلف أنحاء بلاد العرب[9] .

وقد تركت الأصوات المزعجة ، و (الصيحات) المرعبة ، والنيران التي كانت ترى من مسافات بعيدة ، وسحب الدخان التي كانت ترتفع من أجواف

---

١ Moritz, S., 12, Chr. Philips Grant, The Syrian Desert, London, 1937, P., 122, Alios Musil, In the Arabian Desert, New York, 1930, PP., 3, 21.

٢ Ency. Brit., Vol., 2, P., 174.

٣ البلدان (٢٥٩/٢) (مطبعة السعادة ١٩٠٦) ، (حـــرة أشجع) الاصابـــة (٤٦٧/١) .

٤ Doughty, Arabia Deserta, 2, 618. f.

٥ البلدان (٢٦١/٣) ، Moritz, S., 13

٦ الطبرى (٢٩٨/١) (الطبعة الاوربية) ،

٧ Moritz, S., 13.

٨ Moritz, S., 14.

٩ Moritz, S., 19.

الأرض ، و (البريق) الذي كان يظهر من الحرار ، مثل حرّة (القوس) التي قيل انها كانت ترى كأنها حريق مشعل[1] ، و (حرة لبن) التي كان يخرج منها ما يشبه البرق ، ويسمع منها أصوات كأنها صياح[2] ، هذه كلها تركت صوراً مرعبة في نفوس الجاهليين ، تتجلى في القصص المروية عنها ، وفي عقائدهم بتلك النيران .

ولعل قوة نيران (حرة ضَرْوان) وشدة قذفها للحمم وارتفاع لهيبها ، هي التي دفعت أهل اليمن الى التعبد لها والتحاكم اليها ، فقد كانوا يذهبون اليها ليتحاكموا عندها فيما يحدث عندهم من خلاف ، والرأي عندهم ان النار تخرج فتأكل الظالم وتنصف المظلوم . وقد كانت حرة نشطة عاشت أمداً طويلاً كما يظهر من وصف (الهمداني) وغيرها لها ، وصلت حممها الى مسافات بعيدة عن الحرة[3] .

وقد تسببت أكثر هذه الحرار في هلاك كثير ممن كان يسكن في جوارها وفي هجرة الناس من الأرضين التي ظهرت بها ، فتحولت الى مناطق خاوية خالية . وقد وجد السياح أرضين شاسعة واسعة أصيبت بالحرار ، وتأثرت بفعل (اللابة) التي سالت عليها . وللناس الحق كل الحق في ارجاع أسباب هلاك أصحابها الى العذاب الذي نزل بهم بانفجار الأرض وبخروج النيران منها تلتهم الساكنين عندها. وقد جهلوا ان هذه النيران المتقدة الصاعدة والروائح الكريهة المنبعثة عنها ، هي من فعل العوامل الأرضية الداخلية التي تعمل سراً في بطن الأرض .

وكثرة الحرار في جزيرة العرب ، وانتشارها في مواضع متعددة منها ، دليل على أن باطنها كان قد تعرض لامتحانات عسيرة قاسية، ولتقلبات كثيرة ولضغط شديد في المناطق الشمالية والغربية والجنوبية،وقد ظهر أثر ذلك الضغط في وجهها فبان اليوم وكأنه حب الجُدَرِيّ ، يتحدث عن ذلك المرض القديم .

---

١ قال عرعرة النميري :

بحرة القوس وجنبي محفل بين ذراه كالحريق المشعل

البلدان (٣/٢٥٩) .

٢ (لبن) ، بضم اللام وتسكين الباء الموحدة ، قال الشاعر :

بحرة لبن يبرق جانباها وكود ما تهد من الصياح

البلدان (٣/٢٦٠) .

٣ الاكليل (١/٣٣) .

وقد اشتهرت بعض مناطق الحرار بالخصب والنماء وبكثرة المياه فيها ، ولا سيما حرار الحجاز التي استغلت استغلالاً جيداً ، ومنها (خيبر) ، التي ميزت على سائر القرى ، فقيل عنها إنها (خير قرى عربية)[1] ، غير أن ظهور العيون فيها بكثرة ، جعلها موطناً من مواطن الحمّى ، اشتهر أمرها في الحجاز حتى قيل : (حمى خيبر)[2] . واستفاد الجاهليون من الحرار باستخراج الأحجار منها ، كأحجار الرحى والمعادن،فكانت موطناً من مواطن التعدين القديمة فيها [3].

ويدرس علماء طبقات الأرض بعناية بالغة توزيع الحرار في جزيرة العرب ، وتقصي أنواع الحجارة التي يكثر وجودها مثل الحجارة الكلسية والغرانيتية والرملية وتوزّعها، والينابيع الحارة في الأحساء[4] ، لما في هذه الدراسات من أهمية بالنسبة الى اكتشاف الموارد الطبيعية ، والثروات الكامنة في الأرض .

ويظن أن فعل البراكين كان له أثر خطير في العصور الـ « ايوسينية » (Eocene) ، اذ ثارت براكين عديدة في جزيرة العرب وفي الحبشة وفي السواحل الإفريقية المقابلة لجزيرة العرب . وقد أثرت هذه البراكين بالطبع في شكل الأرضين التي ثارت فيها وفي شكل الأرضين القريبة منها ، وقد ظهرت براكين فعّالة نشيطة في العصور (البليوسينية) (Pliocene) أيضاً ، أثرت كذلك في شكل سطح الأرض ، بأن أحدثت فيها تضاريس ، لا تزال آثارها تشاهد حتى الآن[5] .

وفي جزيرة العرب عيون وينابيع ، تخرج منها مياه حارة . ففي عسير وفي الحجاز وفي اليمن وفي حضرموت وعمان والأحساء والهفوف وفي مواضع أخرى

---

١ (خير قرى عربية خيبر) ، ابن سعد ، الطبقات (١/٥٠) (قسم ٢)
Zwemer, Arabia, P., 23, Moritz, S., 12.

٢ كأن به ـ اذ جئته ـ خيبرة يعود عليه وردها وملالها

* * *

قلت لحمى خيبر : استعدي هاك عيالي فاجهدي وجدي
وباكري بصالب وورد اعانك الله على ذا الجند

البلدان (٣/٤٩٧) ، الحماسة (طبعة فرايتاك) (ص ٦٤) ، صفة ١١٨ ، نقائض جرير ٦٢٠ .

٣ مثل حرة سليم ، وحرة الرفاع على ساحل البحر الاحمر شمالي غربي ينبع ، البلدان (٣/٢٥٨) ، (٨/٥٢٦) ، تاج العروس (٣/٦٣٥)

٤ Ency. Brit., Vol., 2, P., 174.

٥ Naval, PP., 19.

غيرها ، مواضع تخرج منها مياه حارة كبريتية في الأكثر ، يستشفي بمياهها الناس بالاستحمام . وانتشارها على هذه الصورة وبهذه الكثرة يلفت النظر ، وهي من آثار التقلبات الجوفية التي حدثت في جزيرة العرب منذ القدم[1] .

٢ — الدهناء :

وهي مساحات من الأرضين تعلوها رمال حمر في الغالب ، تمتد من النفود في الشمال الى حضرموت ومهرة في الجنوب ، واليمن في الغرب ، وعمان في الشرق[2] . وفيها سلاسل من التلال الرملية ذات ارتفاعات مختلفة ، تنتقل في الغالب مع الرياح ، وتغطي مساحات واسعة من الأرض[3] . ويمكن العثور على المياه في قيعانها اذا حفرت فيها الآبار[4] .

وقد أشير الى الدهناء في بيت شعر للأعشى هذا نصه :

يمرون بالدهناء خفافاً عيابهم ويرجعن من دارين بُجر الحقائب[5]

وقد تصل الأمطار الموسمية الى بعض أجزاء (الدهناء) فتنبت فيها الأعشاب ، ولكن عمرها فيها قصير اذ سرعان ما تجف وتموت . وقد هجر الناس السكنى في أكثر أقسام الدهناء،لجفاف أكثر أقسام هذه المنطقة الصحراوية الواسعة ، وخلوها من الماء والمراعي ، ولكثرة هبوب العواصف الرملية فيها ، ولشدة حرارتها التي يصعب احتمالها في أثناء النهار ، وأقاموا في الأمكنة المرتفعة منها ، التي تتوافر فيها المياه ، وتتساقط عليها الأمطار ، فتنبت الأعشاب ، وينتجعها الأعراب . أما الأقسام الجنوبية من الدهناء فيسميها الجغرافيون المحدثون

---

١ Naval, P., 21.

٢ (الدهناء) بفتح اوله وسكون ثانيه ونون والف تمد وتقصر ، البلدان (٤/١١٥ وما بعدها) .

٣ Ency., Vol., 1, P., 893, Ency. Brit., Vol., 2, P., 173 Hitti P. 15.

٤ Handbook of Arabia, vol., 1, P., 11

٥ الالوسي ، تاريخ نجد ، تحقيق الاستاذ محمد بهجت الاثري ، المطبعة السلفية القاهرة ١٣٤٧ (ص ٣٠) .

(الربع الخالي) (The Empty Quarter)[1] ، لخلوها من النـاس ، وكانت تعرف بـ (مفازة صيهد)[2] .

وقد تمكن السائح الانكليزي (برترام توماس Bertram Thomas) من اجتيازها في (٥٨) يوماً ، وهو عمل مجهد شاق ، فكان أول أوروبـي جَرُؤ عـلى اجتياز هذه الأرض[3] .

ويطلق على القسم الغربـي من الدهناء اسم (الأحقاف) وهو منطقـة واسعة من الرمال بها كثبان اقترن اسمها باسم (عاد) . (واذكر أخا عاد ، إذ أنذر قومه بالأحقاف)[4] .

وكشف (برترام توماس) في الربع الخالي بحيرة من المياه الملحة ، وبقـايا حيوانات مبعثرة ، وتبين لدى العلماء أن هذه البحيرة كانت من متفرعات الخليج العربـي، وأن من المحتمل أن هذه الأرضين التي تكثر فيها رواسب قيعان البحر، قد كانت في عهدها من المناطق البحرية التي تغمرها مياه المحيط ، كما عثر فيه على آثار جاهلية لم يعرف من أمرها شيء حتى الآن[5] ، يظهر أنها لأقوام كانت تستوطن هذه المناطق أيام كانت ذات مياه صالحة للإنبات والخصب . وما زالت حتى اليوم تعد أرضاً مجهولة ، وإن تحسنت معارفنا عنهـا كثيراً ، بفضل بعض موظفي شركات البترول والباحثين عن المعادن في مختلف أنحاء الجزيرة . وستأتي الاكتشافات الجديدة لها بمعارف قيمة عن تأريخ العرب قبل الإسلام من غير شك .

وتكون (وبار) قسماً من الدهناء ، وكانت من الأرضين المشهورة بالخصب والنماء ، وهي اليوم من المناطق الصحراوية ، وبها آثار القرى القديمة التي كانت كثيرة قبل الإسلام . والظاهر أنها كانت مواطن الربارييـن ، وهم الذين دعاهم

---

١ Terra Incognita, Hitti, P., 15, Ency., Vol., 1, P., 895, Philby, The Empty Quarter, London, 1933, Bertram Thomas, Arabia Flix, P., XXiii, 180, Philby, In the Geographical Journal, "The Empty Quarter", 81, (1933), 1-26.

٢ صفة ٢١٤ ، البلدان (٥/٤١٩) ، Ency., Vol., 1, P., 370, Moritz, S., 15.

٣ Ency., Vol., 1, P., 183, Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 11 Bertram Thomas Arabia Felix, Across the Empty Quarteer of Arabia, London, 1932, The Geographical Journal, Across the Empty Quarter, III, (1948), 1-21, Also "A Further Journey Across the Empty Quarter", CXIII, (1949), 12-45.

٤ سورة الاحقاف ، السورة ٤٦ اية ٢١ .

٥ Arabia Felix, PP., 180, Ency. Brit., Vol., 2, P., 173.

(بطلميوس) (Jobaritai) الذين سأتحدث عنهم[1] . وفي الجهة الشمالية الشرقية من وبار ، رمال (يبرين) ؛ وكانت من المناطق المأهولة كذلك ، ثم دخلها الخراب[2] .

٣ ـ النفود :

أما النفود ، وهو اسم لم يكن يعرفه العرب[3] ، فهي صحـــراء واسعة ذات رمال بيض أو حمر تذروها الرياح فتكون كثباناً مرتفعة،وسلاسل رملية متموجة، تبتدىء من واحة (تيماء) ، وتمتد الى مسافة ٤٥٠ كيلومتراً تقريباً نحو الشرق ، ويبلغ امتدادها من الجوف الى جبل شمر زهاء ٢٥٠ كيلومتراً تقريباً. وقد عرفت أيضاً بـ (الدهناء) و بـ (رملة عالج) ، ثم تغلب عليهـــا اسم (النفود) وصارت تعرف به[4] .

وتعد النفود من الأماكن المائلة أو المنحدرة ، ويظهـــر من القياسات (وان كانت قليلة جداً) ، ان المنطقة الشرقية من النفود أوطأ من مستوى المنطقة الغربية عند خط طول (٢٧) درجة و (٣٠) دقيقة ، بما يزيد على ١٥٠ متراً ، أي ان هذه البادية مرتفعة في الغرب ، آخذة في الانخفاض والميل في الشرق[5] .

وقد نتج عن هذا الميل والانحدار المتوالي ان الرمال التي كانت الرياح الشمالية أو الشمالية الغربية تحملها ، تراكمت في المنخفض ، فأصبحت الحدود الغربيـــة والشرقية لهذه المنطقة مرتفعة بالنسبة اليها ، بحيث صار (الحماد) يشرف عليها اشرافاً تاماً[6] .

ويغطي وجه (النفود) ، كثبان من الرمال متموجـة يبلغ ارتفاع بعضهـــا

---

١ البلدان (٣٩٢/٨) ،
Philby, The Empty Quarter, PP., 157, Ency., Vol., 1, P., 370 Vol. 4, P. 1073.

٢ البلدان (٩٩/٦)، صفة (ص ٥١، ٨٤، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥٥ ، ١٦٥) .
Ency., Vol., 1, P., 370.

٣ فجـر الاسلام (١/١) .

٤ (رمل عالج) باللام المكسورة والجيم ، (رملة عالج) ، البلدان (٩٦/٦) ،
Moritz, S., 15, Handbook of Arabia, Vol., P., 11.

٥ Ency. Brit., Vol., 2, P., 173, Moritz, S., 15, Musil, in the Arabian Desert PP. 124.

٦ Moritz, S., 15.

زهاء (١٥٠) متراً ، ولذلك لا يعد سطح بادية النفود سطحاً مستوياً منبسطاً . وتأخذ هذه المرتفعات مختلف الأشكال ، فتكون في أغلب الأحيان على شكل نعل الفرس ، ويكون اتجاهها من الغرب نحو الشرق،وتكون أبعادها وأعماقها مختلفة ، وتسمى (القعور) . وقد تركت أثراً عميقاً في مخيلة المسافرين ورجال القوافل[١] .

وبعد الأشتية الممطرة تتحول هذه المنطقة الرمليـــة الموحشة الى جنـة حقيقية فتظهر الرمال وكأنها قد فرشت ببسط خضر ، يزينها الزهـــر والشقائق ومختلف الأعشاب الصحراوية ، وينتجعها الأعراب للرعي . وقد تنمو فيها النباتات المرتفعة ذات السيقان القوية كبعض أنواع (الغَضَى) ، فتكون أدغالاً يحتطب منهـــا البدو ، وقد يحرقونها لاستخراج الفحـــم منها[٢] . وهذه الأعشاب والنباتات ، لا تظهر إلا في المنطقة ذات الرمال الحمر (نفود سمـرا) . أما النفود البيضاء المؤلفة من رمال نشأت من تفتت أحجار (الكوارتز) فإنها في أكثر الأماكن غير منبتة[٣] .

ولكن هذه الجنة الأرضية جنة قصيرة العمر ، لا يدوم عمرها الا أسابيـــع قليلة ، ثم يحل بها الجفاف ، وتهب السمائم ، فتقضي على كل ما نبت في هذه البادية،فتبدو كالحة عابسة مزعجة منفرة،وكأن انساناً كنس وجهها كنساً أزال عنه كل أثر لذلك الجمال . وتهب في شهر نيسان رياح حارة من الشرق والجنوب ، ورياح في شهور الصيف ، تحرق البادية حرقاً ، حتى تغدو وكأنها جحيم[٤] .

وفي العربية ألفاظ عديدة لها صلة بالبوادي ، كثرت وتعـددت لاتصال حياة العرب بها ، منها ما لها علاقة بشكل البادية وظاهر وجهها ، ومنها ما لها علاقة بطبيعتها وبتركيبها ، الى غير ذلك من مصطلحات ، نشأ بعضها من تعدد لهجات العرب ولغاتها ، اذ تسمى قبيلة البادية باسم ربما لا تعرفه قبيلة أخرى ، وهكذا تنوعت التسميات .

مصدر الصحارى :

واذا سألتني عن مصدر هذه الصحارى المزعجة التي وسمت جزيرة العرب بسمة

---

١ Euting, in "Zeitschr. der Ges. fue Erdkunde zu Berlin" No. 5, Tagebuch, 1, 144.

٢ Moritz, S., 16.

٣ Moritz, S., 16. f., A Blunt, Pilgrimage to Nejd, 2, 55.

٤ Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 12, Moritz, S., 17.

خاصة ، وصيرت معظم أهلهـــا بدواً بالرغم منهم ، فأقول لك : إن الرأي المنتشر أن هذه الصحارى تكوّنت من تفتت الأحجار الرملية بتأثير الرياح والجفاف فيها[1] . ويؤيد وجود مثل هذه الأحجار في الشمال الغربي من بلاد العرب هـذا الرأي كثيراً ، ويظهر أنه رأي علمي ينطبق على بعض الصحارى انطباقاً كبيراً، غير أنه لا يحل مشكلة مصدر الرمل الأحمر المتكون من أحجار غير رملية الذي يغطي مساحات واسعة من صحراء النفود ، بينما الرمل الناشىء من الأحجار الرملية لا يغطي إلاّ مساحات ضيقة بالنسبة الى المناطق الأخرى . وهذا يدل دلالة صريحة على أن رمـــال (النفود) لم تتكون من تفتت الأحجار الرملية حسب ، بل من عوامل أخرى كالتقلبات الجوية وتأثيرها في قشرة الأرض[2] .

يكون ظاهر التربة الأجرد معرضاً لحرارة الشمس والتغيرات الجوية مباشرة ، إذْ لا أشجار تحميه ، ولا أعشاب تحافظ على تماسك ذراته وحفظهـــا من تلك التغيرات . فـــإذا انقطعت الأمطار ، جفت التربة ، فتفتتت تدريجياً ، وتستطيع الرياح أن تعبث فيها بكل سهولة ، وتتمكن الرياح التي سرعتهـا ١٨ كيلومتراً في الساعة من إثارة الطبقـــات الرملية الخفيفة والأتربة الباقية المبعثرة عـــلى سطح الأرض .

وإذا هبت الرياح بسرعة ٣٣ كيلومتراً في الساعة ، امتلأ الجو بالغبار . فاذا ازدادت السرعة ، استحالت الى عواصف ، تؤثر تأثيراً كبيراً في سطح الأرض فتحمل ما عليه من أتربة ، وتعرض الطبقات السفلى التي كانت تحت هذه الأتربة لفعل الجو المباشر ، ليحدث لها ما حدث في الطبقة التي كانت فوقها ، وهكذا تتحول هذه المناطق الى صحارى ، وتتكون الرمال حينئذ من التربة المتفتتة لا من تهشم الأحجار الرملية أو الكلسية وحدها[3] .

وتهب مثل هذه الرياح في الشمال الغربي من جزيرة العرب من نهاية شهـــر (آذار) مارس حتى نهاية شهـــر (أيار) مايس ، وتهب في أغلب الأحيان هبوباً فجائياً ، وتستمر يومين أو ثلاثـــة أيام ، وتنتهي في بعض الأحيان برعد

---

١ Moritz, S., 17.

٢ المصـــدر نفســـه .

٣ Moritz, S., 17, Arabia Deserta, Vol., 2, P., 656.

وبرق . وعند حدوث هذه الزوابع يغبر الأفق ويكفهر وجـه السماء ، ثم تهب بعد لحظات عواصف شديدة وأعاصير ، تضفي على الجو لوناً قاتماً،وأحياناً مائلاً الى الصفرة أو الحمرة بحسب لون الرمال التي تحملها الرياح ، وتختفي الشمس ، وتؤثر هذه (العجاجة) في النبات والأشجار تأثيراً كبيراً . واذا استمرت مدة طويلة ، سببت تلف قسم كبير من المزروعات في الأماكن المزروعة[1] .

وقد أشار الكتّاب اليونان والرومان الى البادية،كما عرفها العبرانيون . ولكلمة (حويلة Havilah) ، ومن معانيها الأرض الرملية[2] ، أي تخم بني اسماعيـل – وأولادهم وهم البدو – ولهذا المدلول علاقـة كبيرة بمعنى صحراء[3] . وقد ذهب بعض علماء التوراة الى انها تعني النفود[4] .

وتفصل العراق عن بلاد الشام بادية واسعة ، تعرف بـ (بادية الشام) أو (البادية) ، أو (خساف) ، ويقال للقسم الجنوبي منها – وهو القسم الذي بين الكوفة والسماوة من جهة ، وبينها وبين الشام من جهة أخرى – (باديـة السماوة)[5] ، ويسميها العامة (الحماد) أو (حماد)[6] .

الدارات :

وفي بلاد العرب (الدارات) ، والدارة : كل جوبة بين جبـال في حَزن كان ذلك أو سهل أو رمل مستدير ، في وسطه فجوة ، وهي الدورة ، وتجمع الدارة على دارات[7] . فهي أرض سهلة لينة بيض في أكثر الأحيان ، وتنبت فيها

---

١ Moritz, S., 17.

٢ Moritz S., 17, Diodorus, 2, 54, Strabo, XVI, 3.

٣ التكوين ، الاصحاح الثاني ، الاية ١١ ، الاصحاح العاشر الاية ٧ ، الاصحاح ٢٥ ، الاية ١٨ ،

٤ قامـوس الكتاب المقدس (١/٣٩٨) ، Hastings, P., 333, Ency. Bibl., P., 1974, Glaser, Skizze, 2, S. 323 E. Meyer, Geschichte des Alterthums, Bd., 1, S., 224 Delitzsch, Wo lag des Paradies? S., 12, 57.

٥ البلـدان (٣/٤٣٦) ، (٥/١٢٠) .

٦ Handbook of Arabia, 1, P., 12, Ency. Brit., Vol., 2, P., 173.

٧ البلدان (٤/١٤) ، القاموس المحيط (٢/٢١) ، (كتاب الدارات) للاصمعـي بعناية (اوغست هفنر) ، في مجلة المشرق ، السنة الاولى ، الجزء الاول سنـة ١٨٩٨ ص ٢٤ ومـا بعدها .

الأعشاب والصليان والنباتات الصحراوية[1]، ويبلغ عددها زهاء عشر دارات ومئة[2].

ولبعض هذه الدارات شهرة، اذ وردت أسماؤها في الشعر الجاهلي والإسلامي، مثل (دارة جلجل)، التي ورد ذكرهـا في شعر امرىء القيس الكندي[3]. و (دارة الآرام) وكانت مملوءة من شقـائق النعمان، كما جاء ذلك في شعر برج بن خنزير المازني الذي كلفه الحجاج بن يوسف حرب الخوارج[4].

الجبال :

تكون سلسلة جبال السَّرات العمود الفقري لجزيرة العرب، وتتصل فقراتـه بسلسلة جبال بلاد الشام المشرفة على البادية، المتحكمة فيها تحكم الجنود في القلاع. وبعض قمم هذه السلسلة مرتفعة، وقد تتساقط الثلوج عليها كجبل دبـاغ الذي يرتفع (٢,٢٠٠) متر عن سطح البحر[5]، وجبل وثر وجبـل شيبان. وتنخفض هذه السلسلة عند دنوها من مكة، فتكون القمم في أوطأ ارتفاع، ثم تعـود بعد ذلك الى العلو حيث تصل الى مستوى عـال في اليمن حيث تتساقط الثلوج على قمم بعض الجبال[6].

وتمتد في محاذاة السواحل الجنوبية سلاسل جبلية تتفرع من جبال اليمن، ثم تتجه نحو الشرق الى أرض عمان، حيث ترتفع قمم الجبل الأخضر ارتفاعاً يتراوح من تسعة آلاف قدم الى عشرة آلاف قدم[7]. وتتخلل هـذه السلاسل الجنوبية أودية تمثل اتجاه مسايل الأمطار الى البحر.

وتفصل بين البحر والسلاسل الجبلية سهول ساحلية ضيقة في الغالب، ربمـا لا تتجاوز خمسة عشر ميلاً عن سواحل البحر الأحمر[8]. وتكون هـذه السواحل

---

١ البلدان (١٤/٤).
٢ القاموس المحيط (٢١/٢)، البلدان (١٤/٤).
٣ البلدان (١٦/٤)، مجلة المشرق العدد المذكور ص ٢٦.
٤ فأبرق وارعد لي اذا العيس خلفت بنا دارة ارام ذات الشقائق
البلدان (١٥/٤)، المشرق، العدد المذكور (ص ٢٦).
٥ Moritz, S., 5 f.
٦ الواسعي، تاريخ اليمن، ص ٨٠، حتى ٢١ (الترجمة العربية).
٧ Ency. Brit., Vol., 2, P., 169.
٨ Ency. Brit., Vol., 2, P. 169.

حارة رطبة في الغالب ، يتضايق منها الانسان ، وتكون غير صحيـــة في بعض الأماكن . ويطلق على بعض أقسام التهائم (الغور) و (السافلة) ، لانخفاض بقاعها . وقد ذهب بعض العلماء الى اطلاق تهامة على طول الأغوار الساحليـــة الممتدة من شبه جزيرة سيناء وبحر القلزم الى الجنوب[1] . وسأتحدث عنها فيما بعد .

وتكون هذه السلاسل مانعـــاً — للأبخرة المتصاعدة من البحر الأحمر والبحر العربي — من وقوع الأمطار في أواسط بلاد العرب وفيما وراء السفوح الشرقية للسراة والسفوح الشمالية للسلاسل الجبلية الجنوبية ، لذلك كثرت الأودية القصيرة التي تسيل فيها المياه في هذه المناطق ، وزادت فيها امكانيات الخصب والزراعة عن البقاع التي وراء السَّراة حتى الخليج .

وفي نجد ، وهي هضبة يبلغ ارتفاعها زهاء ٢٥٠٠ قدم ، منطقة جبلية تتكون من (الغرانيت) ، يقال لها جبل (شمر) ، وهي من مواضع (طيء) التي اشتهر أمرها قبل الإسلام اشتهاراً كبيراً ، وقد عرفت قديماً بجبلَيْ طيء .

وتتألف من سلسلتين ، يقال لإحداهما أجأ ، وللأخرى سلمى[2] . وهناك منابع عديدة للمياه في شعاب هذه السلسلة وفي السهل الكبـــير المنبسط بينهما . ويمكن الحصول على المياه فيها بوفرة تحت طبقات الرمال والصخور[3] . وأما جبل (طويق) فهو مرتفعات تقع في الوسط الشرقي من نجد وفي جنوب شرقي الرياض ، وتتألف من الحجارة الرملية وتحيط بها الصخور والحجارة الكلسية ، وتدل البحوث على أن من الصخور والمواد البركانية ما قذفته البراكين الى هذه الجهات[4] .

الأنهار والأودية :

ليس في جزيرة العرب أنهار كبيرة بالمعنى المعروف من لفظة نهر مثل نهر دجلة أو الفرات أو النيل ، بل فيها أنهار صغيرة أو جعافر . وهي لذلك تعد في جملة الأرضين التي تقل فيها الأنهار والبحيرات، وفي جملة البلاد التي يتغلب

---

١ البلدان (٤٢٦/٢) ، (٣١١/٦) ، صفة (ص ٥٤ ، ١١٩ وما بعدها) ، بلـوغ الارب (١٨٨/١) .

٢ تاريخ نجد ، للالوسي (ص ٢١) . Moritz, S., 6, Handbook, Vol., 1, P., 13.

٣ وهبـــة ص ٦٣ .

٤ Moritz, S., 6.

عليها الجفـــاف . ويقل فيها سقوط الأمطار ، ولذلك أصبحت أكثر بقاعهـــا صحراوية قليلة السكان . غير انها كثيرة الأودية،تطغى عليها السيول عند سقوط الأمطار ، فتصير وكأنها طاغية مزبدة . وهي في الغالب طويلة ، تسير في اتجاه ميل الأرض . أما الأودية التي تصب في البحر الأحمر أو في البحر العربي،فإنها قصيرة بعض الشيء ، وذات مجرى أعمق ، وانحدار أشد ، والميـــاه تسيل فيها بسرعة فتجرف ما يعترضها من عوائق ، وتنحدر هذه السيول الى البحر فتضيع فيه ، ومن الممكن الاستفادة منها في الأغراض الزراعية والصناعية . وقد تكون السيول خطراً يهدد القوافل والمدن والأملاك ، ويأتي على الناس بأفدح الخسائر[1].

وفي كتب المؤلفين الإسلاميين إشارات الى سيول عارمة جارفة، أضرت بالمدن والقرى والمزارع وبالقوافل والناس ، إذ كانت قوية مكنتها من جرف الأبنيـة والناس ، ومن إغراقهم حـــتى ذكر أن خراب عاصمة اليمامة القديمة كان بفعل السيل ، وأن كثيراً من المزارع والأموال هلكت وتلفت بفعل لعب السيول بهـا لعباً لم تتحمله ، فهلكت من هذا المزاح الثقيل[2] .

وليس في استطاعة أحـــد التحدث عن ملاحة بالمعنى المفهوم من الملاحـة في نهيرات جزيرة العرب ، وذلك لأن هـــذه النهيرات اما قصيرة سريعة الجريان منحدرة انحداراً شديداً ، واما ضحلة تجف مياهها في بعض المواسم فـلا تصلح في كلتا الحالتين للملاحة . وهي أيضاً شحيحة بالثروة الحيوانية ، وليس فيهـــا إلا مقادير قليلة من الأسماك .

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن كثيراً من أودية جزيرة العرب كانت أنهاراً في يوم من الأيام . واستدلوا على ذلك بوجود ترسبات في هـــذه الأدية ، هي من نوع الترسبات التي تكون في العادة في قيعان الأنهار ، ومن عثـــور السياح على عاديات وآثار سكن على حافات الأودية . ومن نص بعض الكتبة (الكلاسيكيين) على وجود أنهار في جزيرة العرب . فقد ذكر (هيرودوتس) نهراً سماه «كورس» زعم انه نهر كبير عظيم ، يصب في (البحر الأريتوي) ، ويقصد به البحر الأحمر ، وزعم أن العرب يذكرون أن ملكهم كان قد عمل ثلاثة أنابيب صنعها

---

١ فتوح البلدان للبلاذري ، الفصل الذي عقده لاخبار السيول ، الطبرى والازرقي في أخبـــار السيول .

٢ Naval, PP., 24.

من جلود الثيران وغيرها من الحيوانات ، امتدت من هذا النهر الى البادية مسيرة اثني عشر يوماً ، حملت الماء من النهر الى مواضع منقورة ، نقرت لخزن المياه الآتية من ذلك النهر فيها[1] .

وهناك موضع عـــلى مقربة من ساحل البحر الأحمر اسمه (قرح)[2] على مسافة ٤٣ كيلومتراً من (الحجر) في مكان يمر به خط الحديد الحجازي في منطقـــة صحراوية ، وكان في الأزمنة السابقة من المحلات المزروعة ، وبه بساتين عـــدة تعرف بـ (بساتين قرح) ، وعلى مقربة منها (سقيا يزيد) أو (قصر عنتر) (اسطبل عنتر) ، كما تعرف به في الزمن الحاضر على بعـد ٩٨ كيلومتراً من المدينة . والى شماله (وادي الحمض) الذي يرى بعض العلماء أنـه المكان الذي أراده (هيرودوتس)[3] .

وذكر (بطلميوس) نهراً عظيماً سماه (لار) Lar ، زعم انه ينبع من منطقة (نجران) ، أي من الجانب الشرقي من السلسلة الجبليـة ، ثم يسير نحو الجهة الشمالية الشرقية مخترقاً بلاد العرب حيث يصب في الخليـــج العربي[4] . ولا يعرف من أمر هذا النهر شيء في الزمن الحاضر ، ولعله كان وادياً من الأودية التي كانت تسيل فيها المياه في بعض المواسم ، أو كان بقايا نهـــر ، أثرت في مياهه عوامل الجفـــاف . ويرى (موريتس) ان هذا النهر الـــذي أشار اليه (بطليموس) ، هو وادي الدواسر ، الذي يمس حافة الربع الخالي عند نقطة تبعد زهاء خمسين ميلاً من جنوب شرقي السليل ، وتمده بعض الأودية المتجهة من سلاسل جبال اليمن بمياه السيول[5] ، وتغيض مياهـــه في الرمال في مواضع عديدة ، فتكون بعض الواحات التي يستقى منهـــا ، ويزرع عليها . ويلاحظ وجود مياه غزيرة في واديه ، في مواضع لا تبعد كثيراً عن القشرة . وهذا مما

---

١ Herodotus, Vol., 1,P., 214, Bertram Thomas, The Arabs, P., 350.

٢ البكرى ٧٨٧ ، المقدسي ٨٣ ، ٩٨ ، ١١٢ ، (قرح) بالضم ثم السكون ، البلدان (٤٨/٧) وكانت من اسواق العرب في الجاهلية ، وزعم بعضهم ان بها كان هلاك عاد قوم هود ، مما يدل على انها من المواضع القديمة في بلاد العرب .

٣ (اصطبل عنتر) ، وهبه ص ٢٠ ، والظاهر انها كانت تعرف بـ (سقيا) ، وهي من المواضع الجاهلية القديمة ، البلدان (٩٤/٥) .

٤ Moritz, S. 21.

٥ وهبه ٥٤ ، الالوسي ، تاريخ نجد (ص ٢٩) .

يحمل على الاعتقاد بوجود مجاري أرضية تحت سطح الوادي ، وانه كان في يوم ما نهراً من الأنهار ، غير اننا لا نستطيع أن نتكهن في أمر هـذا الوادي أكان نهراً جارياً في زمن بطلميوس كما أشار الى ذلك ، أو كان وادياً رطب القيعان لم تكن عوامل الجفاف قد أثرت فيه أثرها في الزمن الحاضر. لذلك كانت تمكث فيه السيول والأمطار المتساقطة على السفوح الشرقية لجبال اليمن مدة أطول مما هي عليه الآن[1] . والرأي عندي ان هذه الأنهار وأمثالها التي يشير اليها المؤلفون اليونان والرومان ، لم تكن في الواقع وبالنسبة الى ذلك الزمن الا سيولاً عارمة جارفة سمعوا بأخبارها من تجارهم ومن بعض رجالهم الذين كتب لهم الذهاب الى بلاد العرب أو اتصلوا بالعرب ، فظنوا انها أنهار عظيمة على نحو ما ذكروه . فلا يعقل وجود الأنهار الكبيرة في ذلك الزمن ، اذ كان الجفاف قد أثر تأثيره في إقليم جزيرة العرب قبل ذلك بأمد طويل ، فلا مجال لبقاء أنهار على النحو الذي يذكره أولئك الكتّاب .

وينطبق هذا الاحتمال على الأودية الأخرى ، وهي كما قلت كثيرة ، ومنها وادي الرمة ووادي الحمض ، ويعد هذان الواديان من الأودية الجافة ، إلا في مواسم الأمطار الشديدة حيث تصب السيول فيهما ، غير أن لها مجاري أرضية ، تشير الى تلك الحقيقة ، ويمكن الحصول على المياه فيهما بحفر الآبار على أعماق ليست بعيدة عن السطح . وقد تظهر على سطح الأرض في بعض المحال ، وربما كانا قبل آلاف السنين ، أنهاراً تجري فيها المياه،فتروي ما عليها من أرضين[2] .

يتكون (وادي الرمة) عند (حرة خيبر) أو (حرة فدك)[3] من التقاء بضعة أودية ممتدة من الشمال على ارتفاع ستة آلاف قدم ، ثم تتجه بعد ذلك نحو الشرق ثم تأخذ اتجاهاً جنوبياً شرقياً حيث تتصل بـ (الجرير) أو (الجريب) كما كان يعرف سابقاً[4] ، وهو من أوسع فروع وادي الرمة . ويتجه هذا الوادي

---

١ Moritz, S., 21.

٢ Moritz, S., 21, Philby, in the Geogr. Journ, CXIII, (1949), 86.

٣ ويقال له (بطن الرمة) بضم الراء وتشديد الميم ، وقد يقال بالتخفيف ، البلدان (٢/٢١٩) ، (ومنها وادي القصيم ، المسمى وادي الرمة) تاريخ نجد ،للالوسي (ص ٢٩) .

٤ (الجريب) بالفتح ثم الكسر ، البلدان (٣/٩١) ، Moritz, S., 23

نحو الشرق حيث يصل الى (بريدة) ، ثم ينعطف نحو الشمال الشرقي فالشرق الى (القصيم) حيث يسمى بعد ذلك (الباطن) (البطن) ثم يتفرع الى فرعين يخترقان منطقة صحراوية ، ويسير أحدهما في (النفود) حيث يتصل بالدهناء إلى أن يبلغ موضعاً قرب البصرة[1] . ويبلغ طول هذا الوادي زهاء ٩٥٠ كيلومتراً أو أكثر[2] .

وأما مبدأ وادي الحمض أو وادي إضم كما كان يسمى قديماً ، فمن جنوب حرة خيبر ، ثم يتجه نحو الجنوب الغربي الى أن يصل الى يثرب حيث تتصل به أودية فرعية أخرى ، منها (وادي العقيق) ، ويتصل به كذلك (وادي القرى) ، ويستمد مياهه من السيول التي تنحدر اليه من الجبال من العيون التي عند خيبر حيث يصب في البحر الأحمر في جنوب قرية الوجه . وعند هذا المصب بقايا قرية يونانية قديمة ، وبقايا معبد يعرف عند الأهلين (كصر كريم)[3] ، وهو من مخلفات المستعمرات اليونانية القديمة التي كان الملاحون والتجار اليونانيون قد أقاموها عند ساحل البحر الأحمر لحماية سفنهم من القرصان ، وللاتجار مع الأعراب ، ولتموين رجال القوافل البحرية بما يحتاجون اليه من ماء وزاد . ويعتقد (موريتس) أن هذا الموضع هو محل مدينة (لويكه كومه) (Leuke Kome) المشهورة التي وصل اليها (أوليوس كالوس) لما همّ بفتح اليمن[4] ، على حين يرى آخرون أن هذه المدينة هي في المحل المعروف باسم (الحوراء) . ويبلغ طول وادي الحمض زهاء ٩٠٠ كيلومتر[5] .

---

١ (البطن) (بطن الرمة) ، البلدان (٢١٩/٢) ، صفة ١٤٤

٢ وهبه ص ٢ ، (القصيم) ، بالفتح ثم الكسر على (فعيل) قال الاصمعي : (واسافل الرمة تنتهي الى القصيم) ، البلدان (١١٦/٧) ، (بطن) الحماسة (فرايتاك) ٦٠٨ ، صفة ١٤٤ ، الدينوري : الاخبار ، ١٦٠ ، ٢٥٨ ، ويرى (موريتس) احتمال كون نهر (بيشون Pischon) الذي هو احد انهار الجنة الاربعة في التوراة هو وادي الرمة ،
Moritz, S., 23, Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 10.

٣ (اضم) بالكسر ثم الفتح وميم ، قال ابن السكيت : اضم واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر ، البلدان (٢٨١/١) ، وادي (الحمض) ، البلدان (٣٤٢/٣) .

٤ Moritz, S., 24, Pauly-Wissowa, Leuke Kome.

٥ (الحوراء) بالفتح والمد ، كانت بها آثار خرائب قديمة حتى ايام ياقوت الحموى وكانت قد هجرت في ايامه ، وكانت ميناء المصريين الى المدينة ، البلدان (٣٥٩/٣)
Moritz, S., 21.

وهناك (وادي حنيفة) ، وهو من الأودية المهمة كذلك ، يبتدىء من غرب (جبل طويق) ثم يتجه نحو الشرق نحو الخليج العربي . وهو مهم ، ويمكن الحصول على المياه فيه بطريقة حفر الآبار ، لأن الماء غير بعيد عن قاعه . وأما عند هطول الأمطار ، فإنّ المياه تجري اليه من السفوح فتسيل فيه[1] .

ولقلة المياه في بلاد العرب ، انحصرت الزراعة فيها في الأماكن التي حبتها الطبيعة بمواسم تتساقط فيهـــا الأمطار مثل العربية الجنوبية ، وفي الأماكن التي ظهرت فيها عيون وينابيع ، مثل وادي القرى في الحجاز ، والأحساء على الخليج العربي . وفي الأودية والأماكن التي تكثر فيها المياه الجوفية ، حيث استنبطت المياه منها بحفر الآبار . والزراعة في هذه الأماكن – باستثناء العربية الجنوبية – هي زراعة محدودة ، حدودها ضيقة ، وآفاقها غير بعيدة ، وناتجها قليل لا يكفي لإعاشة كل السكان .

وقد لزمت سكان الأرضين التي تغيث السماء أرضهم ، بانزال الغيث عليها ، الاستفادةُ من الأمطار المنهمرة، بحصرها وتوجيهها الى مخازن تخزنها لوقت الحاجة، وذلك بانشاء السدود واقامة خزانات ذوات أبواب تفتح وتغلق لتوجيه المياه الوجهة التي يريدها الانسان . وقد أقيمت هـــذه السدود في مواضع متناثرة من جزيرة العرب، خاصة في الأماكن التي يركبها المطر مثل العربية الجنوبية والعربية الغربية . وتشاهد اليوم آثار سدود جاهلية استعملها الجاهليون للاستفادة من مياه الأمطار .

ولما كانت الأمطار رحمة ونعمة كبرى ، اذا انحبست نفقت إبـــل العرب ومواشيهم ، صار انحباسها نقمة وهلاكاً ، وعدّوا انحباسها عنهـــم غضباً من الآلهة ينزل بهم ، ولهذا كان الجاهليون يتضرعون الى آلهتهم ويتقربون اليها ، أن تنزل عليهم الغيث ، ولهم في ذلك صلوات وأدعية للاستسقاء سيأتي الحديث عنها في باب الدين عند الجاهليين .

وعلى خلاف العيون الحارة التي هي من آثار التفاعلات البركانيـة والتفاعلات الباطنية الكيمياوية ، فان في بلاد العرب عيون وينابيع وواحات ، صارت موطناً للزراع والزرع . وبعض هذه العيون ، تتدفق من الجبال والهضاب وبعد مجرى قصير تعود فندخل باطن الأرض كما هو الحال في أرض (مَدْيَن) . وهنالك

---

١ حافظ وهبه ، جزيرة العرب (ص ٤٦) . Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 10.

عيون تتوقف حياتها على المطر . وقد استفاد الجاهليون من بعض العيون والينابيع فربطوها بكهاريز وبقنوات تجري فيها المياه تحت سطح الأرض الى بيوتهم ومزارعهم دون أن تتعرض للتبخر الزائد ، فتفقد كميات كبيرة من المياه تذهب هباء . وقد عثر على شبكات منها في عُمان وفي وادي فاطمة بالحجاز وفي اليمن[1] .

أقسام بلاد العرب :

قسّم اليونان واللاتين جزيرة العرب الى أقسام ثلاثة :

١ — العربية السعيدة Arabia Felix .
٢ — العربية الصخرية ،وترجمت بالعربية الحجرية كذلك (Arabia Petreae) .
٣ — العربية الصحراوية Arabia Deserta .

وهو تقسيم يتفق مع الناحية السياسية التي كانت عليها البلاد العربية في القرن الأول للميلاد . فالقسم الأول مستقل ، والقسم الثاني قريب من الرومان ثم أصبح تحت نفوذهم ، وأما القسم الثالث فهو البادية الى نهر الفرات[2] .

وقد أشير الى العربية السعيدة والعربية الصحراوية في الموارد (الكلاسيكية) القديمة مثل جغرافية (سترابون)[3] . ويرى بعض العلماء ان القسم الآخر وهو (العربية الصخرية) Arabia Petreae هو من اضافة (بطلميوس) العالم الجغرافي الشهير ، وقد قصد به برية شبه جزيرة سيناء وما يتصل بها من فلسطين الى الأردن[4]. فهو في رأي هؤلاء أحدث عهداً في التسمية من التسميتين الأخريين.

ولم يأخذ الجغرافيون العرب بالتقسيم (الكلاسيكي) ، مع أنهم وقفوا على بعض مؤلفاتهم ، كجغرافية بطليموس[5] . الا ان جزيرة العرب عندهم ، هي (العربية السعيدة) في اصطلاح أكثر الكتبة اليونان واللاتين .

---

١ Naval, PP., 33.
٢ Christina Phelps Grant, The Syrian Desert, London, 1937, P., 10, Ch. Forster, The Historical Geography of Arabia, in 2 Vols., Vol., 2 P., 109.
٣ Strabo, vol., 3, P., 309.
٤ William Smith, A Dictionary of the Bible, Vol., 1, P., 91.
٥ Forster, 2, 109, Edward Gibbon, The Decline and fall of the Roman Empire, Vol., 5, P., 209, (Everyman's Library ed. 1931).

العربية السعيدة : Arabia Felix

أما العربية السعيدة ، ويقال لها (Arabia Beata) و (Arabia Eudaimon) في اليونانية ، فهي أكبر الأقسام الثلاثة رقعة ، وتشمل كل المناطق التي يقال لها جزيرة العرب في الكتب العربية كما يفهم من بعض المؤلفات ، وليست لها حدود شمالية ثابتة ، لأنها كانت تتبدل وتتغير على حسب الأوضاع السياسية . ولكن يمكن القول إنها تبدأ في رأي أكثر الكتاب اليونان والرومان من مدينة (هيروبوليس) (Heropolis) على مقربة من مدينة السويس الحالية ، ثم تساير حدود العربية الحجرية الجنوبية ، ثم تخترق الصحراء حتى تتصل بمناطق الأهوار (أهوار كلديا) عند موضع (Thapsacus) . وقد أدخل بعض الكتاب هذه الأهوار في جملة العربية السعيدة ، وجعلها بعضهم خارجة عنها بحيث يمر خط الحدود في جنوبها الى أن تتصل بمصب شط العرب في الخليج[1] .

وعرفت البادية الواسعة التي هي جزء من النفود والتي تمر بها حدود العربية السعيدة الشمالية ، باسم (Eremos) عند اليونان ، وهي امتداد لبادية الشام[2] .

العربية الصحراوية :

ويقال لها في اليونانية (Arabia Eremos)[3] . أما حدودها ، فلم يعينها الكتّاب اليونان واللاتين تعييناً دقيقاً . ويفهم من مؤلفاتهم أنهم يقصدون بها البادية الواسعة الفاصلة بين العراق والشام ، أي البادية المعروفة عندنا بـ (بادية الشام) . ويكون نهر الفرات الحدود الشرقية لها الى ملتقى الحدود بالعربية السعيدة . وأما الحدود الشمالية ، فغير ثابتة ، بل كانت تتبدل بحسب الأوضاع السياسية . وأما الحدود الغربية ، فكانت تتبدل وتتغير كذلك ، ويمكن أن يقال بصورة عامة إن حدودها هي المناطق الصحراوية التي تصاقب الأرضين الزراعية لبلاد الشام . فما كان بعيداً عن امكانيات الرومان واليونان ومتناول جيوشهم ، عد من العربية الصحراوية[4] .

---

١ Ptolemy, VI, 7, 2, 27, Strabo, XVI, 4:2, Musil, Arabia Deserta P. 498 The Bible Dictionary, Vol., 1, P., 98, A. Grohmann, Arabian, S., 4.

٢ Musil, Arabia Deserta, P., 499.

٣ Musil, Deserta, P., 497, 511, Hitti, 44.

٤ Forster Vol., 2, P., 110 ff.

ويفهم من العربية الصحراوية أحياناً (بادية السماوة)[1]،وقد يجعلون حدودها على مقربة من بحيرة النجف ، أي في حدود الحيرة القديمة ، حيث تبدأ (بطائح كلدية) التي كانت تشغل اذ ذاك مساحة واسعة من جنوب العراق . وعرفت عند بطليموس باسم (Amardocaea) ، وهي تمتد حتى تتصل ببطائح (Maisanios Kolpos) أو (خليج مسنيوس) (خليج ميسان) ، الذي يكون امتداد الخليج العربي (Persikos Kolpos) . وكل ما وقع جنوب ذلك الخط الوهمي ، عدّ في العربية السعيدة[2] .

وقد فهم (ديودورس) من (العربية الصحراوية) المناطق الصحراوية التي تسكنها القبائل المتبدية ، وتقع في شمالها وفي شمالها الشرقي في نظره أرض مملكة (تدمر) . وأما حدّها الشمالي الغربي والغربي حتى ملتقاها بالعربية الحجرية ، فتدخل في جملة بلاد الشام . وأما حدودها الشرقية ، فتضرب في البادية الى الفرات . فأراد بها البادية اذن . وقد جعل من سكانها الإرميين والنبط[3] .

وتقابل العربية الصحراوية ، ما يقال له (أربى) عند الأشوريين ، و (ماتو أربى) عند البابليين ، و (أربايا) عند السريان والفرس .

كانت البادية ، بادية الشام ، أو (العربية الصحراوية) ، مأهولة بالقبائل العربية ، سكنتها قبل الميلاد بمئات السنين . وليست لدينا مع الأسف ، نصوص كتابية قديمة أقدم من النصوص الأشورية التي كانت أول نصوص أشارت الى العرب في هذه المنطقة ، وذكرت انه كانت لديهم حكومات يحكمها ملوك . وأقدم هذه النصوص هو النص الذي يعود تأريخه الى سنة ٨٥٤ ق. م[4]. وقد ورد فيه اسم العرب في جملة من كان يعارض السياسة الأشورية ، ولما كان هذا النص يشير الى وجود مشيخة أو مملكة عربية ، يحكمها ملك فلا يعقل أن يكون العرب قد نزلوا في هذا العهد في هذه البادية ، بل تشير كل الدلائل الى أن وجودهم فيها كان قبل هذا العهد بأمد ، وربما كان قبل الألف الثاني قبل الميلاد . وقد كانت هذه القبائل تهاجم أرض ما بين النهرين وبلاد الشام ، وتكون مصدر

---

١ Musil, Deserta, P., 235.

٢ Musil, Deserta, P., 500, 503, Stephan of Byzantium, Ethnica, P., 237, (Ed. Meineke).

٣ Musil, Deserta, P., 499, Diodorus, Bibl. Hist., 11, 54.

٤ D.D. Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol., 1, 611.

رعب للحكومات المسيطرة على الهلال الخصيب ، وكانت تنتقل في هذه البادية الواسعة ، لا تعترف بفواصل ولا بحدود ، فتقيم حيث الكلأ والماء والمحل الذي يلائم طبعها[1] .

أما الروايات العربية ، وهي لا تستند الى وثائق أو نصوص جاهلية ، فقد رجحت وجود العرب في هذه الأرضين الى ما بعد الميلاد في الغالب ، ولم يتجاوز بعض من تجاوز الميلاد أيام (بخت نصر) وهو بالطبع حديث مغلوط فيه .

العربية الحجرية ، العربية الصخرية :

وأما العربية الحجرية ، فتشمل الأرضين التي كان يسكن فيها الأنباط ، وخضعت لنفوذ الرومان والبيزنطيين . ويطلق ذلك الاسم ، أي العربية الحجرية ، على شبه جزيرة سيناء ، وعلى المملكة النبطية ، وعاصمتها (بطرا) (بترا) (البتراء)[2] . وكانت حدود هذه المنطقة تتوسع وتتقلص بحسب الظروف السياسية وبحسب مقدرة العرب ، ففي عهد الحارث الرابع ملك الأنباط (من سنة ٩ ق.م الى سنة ٤٠ ب. م) اتسعت حدودها حتى بلغت نهايتها الشمالية مدينة دمشق[3] . ولما ضعف أمر النبط ، استولى الامبراطور (تراجان) عام (١٠٦ م) على هذه المقاطعة وضمها الى المقاطعة التي كونها الرومان وأطلقوا عليها اسم (المقاطعة العربية) (Provincia Arabia) . ويظهر من وصف (ديودورس) لهذه المنطقة انها في شرق مصر وفي جنوب البحر الميت ، وجنوبه الغربي وفي شمال العربية السعيدة وغربها[4] . وان الأنباط يقيمون في الأرضين الجبلية وفي المرتفعات المتصلة بها التي في شرق البحر الميت ، وفي شرق وادي العربة ، وفي جنوب اليهودية حتى الخليج العربي ، (خليج العقبة)[5] . وأما الأقسام الباقية، فكانت تسكنها قبائل عربية قيل لها (سبئية) ، وهي تسمية كانت تطلق عند الكتبة

---

١ Forster, Vol., 1, P., 347.

٢ R.E. Brunnow und A. v. Domszewski, Die Provincia Arabia, in 3 Bd.

٣ Hitti, P., 44, 68.

٤ Diodorus, 11, 48, Musil, Hegaz, P. 309.

٥ Musil, Hegaz, P., 309, Deserta, P., 499.

اليونان والرومان على أكثر القبائل المجهولة أسماؤها، التي تقطن وراء مناطق نفوذ الأنباط والرومان ، ويعنون بذلك قبائل جنوبية في الغالب .

التقسيم العربي :

ويؤسفنا أننا لا نستطيع أن نتحدث عن وجهة نظر أحد من الجاهليين في أقسام بلاد العرب، لعدم ورود شيء من ذلك في النصوص أو في الروايات التي يرويها عنهم أهل الأخبار ، وكلهم مسلمون .

أما الإسلاميون ، فقد اكتفوا بجزيرة العرب ، فأخرجوا بذلك البادية الواسعة منها ، وأخرجوا القسم الأكبر مما دعاه الكلاسيكيون بالعربية الحجرية منها كذلك. وجزيرة العرب وحدها ، هي (العربية السعيدة) عند اليونان والرومان ، وما يقال له أيضاً بـ (Arabia Proper) في الانكليزية[1] .

وقد قسموا جزيرة العرب الى خمسة أقسام : الحجاز ، وتهامة ، واليمن ، والعروض ، ونجد[2] . ويرجع الرواة أقدم رواياتهم في هذا التقسيم الى عبدالله بن عبّاس[3] .

أما الحجاز ، فتمتد رقعته في رأي أكثر علماء الجغرافية المسلمين ، من تخوم الشام عند العقبة الى (الليث)[4] ، وهو واد بأسفل السراة يدفع في البحر ، فتبدأ عندئذ أرض تهامة[5] . وقد عد قسم من العلماء (تبوك) وفلسطين من أرض الحجاز[6] . ويقال للقسم الشمالي من الحجاز أرض مدين وحسمى ، نسبة الى السلسلة الجبلية المسماة بهذا الاسم ، التي تتجه من الشمال نحو الجنوب[7]، وتتخللها

---

١ Forster, Vol., 2, PP., 112.

٢ صفة (ص ٤٧ وما بعدها) ، البلدان (٣/٢١٨) ، المفضليات ص ٤١٦ .

٣ صفة ص ٤٦ .

٤ (الليث) بكسر اللام ثم الياء الساكنة والثاء المثلثة ، البلدان (٣/٢١٨) ، (٧/٣٤٦) ، (اذا خلفت عجلزا صعدا فقد انجدت ، فلا تزال منجدا حتى تنحدر من ثنايا ذات عرق ، فاذا فعلت فقد اتهمت الى البحر ، واذا عرضت لك الحرار وانت منجد فتلك الحجاز) ، (حد الحجاز ، الاول بطن نخلة وظهر حرة ليلى ، والحد الثاني مما يلي الشأم شعب وبدا ، والحد الثالث مما يلي تهامة بدر والسقيا ورهاط وعكاظ ، والحد الرابع شابة وودان ، ثم ينحدر الى الحد الاول) ، بلوغ الارب (١/١٨٧ وما بعدها) .

٥ البلدان (٣/٢١٨)

٦ البلدان (٣/٢١٨) .

٧ البلدان (٧/٤١٧) ، Ency., 1, 368, Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 96.

أودية محصورة بين التيه وأيلة من جهة ، وأرض بني عذرة من ظهرة حرة نهيل من جهة أخرى[1] . وكانت تسكنها في الجاهلية قبائل جذام[2] . ويسكنها في الزمن الحاضر عرب الحويطات ، ويعتقد المستشرقون أنهم من بقايا النبط[3] .

وأرض (حسمى) ، أرض خصبة كثيرة المياه . وكانت من المناطق المعمورة، وبها آثار كثيرة ومن جبالها جبل يعرف بـ (إرم)[4] . ويرى بعض المستشرقين أن لهذا الجبل علاقة بموضوع (إرم) الوارد ذكره في القرآن الكريم وفي كتب قصص الأنبياء والتواريخ[5] . ويرى (موريتس) انه موضع (Aramaua) الذي ذكره (بطليموس) على أنه أول موضع من مواضع العربية السعيدة ، وأنه لا يبعد كثيراً عن البحر[6] . ويقال له (رم) في الزمن الحاضر[7] .

وتتخلل الحجاز أودية عديدة ، منها وادي إضم الذي ورد ذكره في أشعار الجاهلية وفي أخبار سرايا الرسول[8] . ووادي نخال ، ويصب في الصفراء بين مكة والمدينة[9] . والصفراء واد من ناحية المدينة ، كثير النخل والزرع ، في طريق الحاج ، سلكه الرسول غير مرة ، وعليه قرية الصفراء ، وماؤها عيون تجري الى ينبع ، وهي لجهينة والأنصار ولبني فهر ونهد ورضوى[10] . ووادي (بدا) قرب أيلة ، يتصل بوادي القرى[11] . ووادي القرى واد مهم يقع بين العلا والمدينة ، ويمر به طريق القوافل القديم الذي كان شرياناً من شرايين الحركة

---

١ البلدان (٢٧٦/٣) ، لسان العرب (٢٤/١٥) .
٢ Ency., Vol., I, P. 368, Doughty, Vol. 2, P. 624.
٣ Ency., Vol., 2, P., 349.
٤ البلدان (٢٧٧/٣) .
٥ Mr. Horsfield, in Revue Biblique, XLI, (1932), PP., 581, XLII, (1933), PP., 405, XLIII, (6934), PP., 572, XLIV, (1935) PP., 45.
٦ Ptolemy, VI, 7 : 27, B. Moritz, in MFOB, III, P., 395, "Ausfluege in der Arabia Petraea".
٧ Musil, Hegaz, P., 273.
٨ البلدان (٢٨١/١) ، صفة ١٧١ .
٩ البلدان (٢٧٢/٨) .
١٠ البلدان (٢٧٢/٨)
١١ البلدان (٣٦٧/٥)

التجارية في العالم القديم ، ويقال له (وادي الديدبان)[1] ، ويصب فيه واديان هما : وادي جزل من الشمال ، ووادي الحمض من الجنوب ، ويلتقي به واد آخر هو وادي التبج ، أي وادي السلسلة[2] . وكان عامراً جداً ، تكثر فيه المياه، وتشاهد فيه اليوم آثار المدن والقرى[3] . وقد عثر فيه على كتابات كثيرة لحيانية وسبئية ومعينية وغيرها ، سأتحدث عنها .

ومن أهم مواضع وادي القرى (العلا) ، وقد نزله الرسول في طريقه الى تبوك[4] . ويقع في موضع (ديدان) (ددان) (ددن) القديم . وبه واحة ونهير صغير[5] . ومدينة (قرح) ، وكانت من أسواق العرب في الجاهلية ، وقد زعم أنها القرية التي كان بها هلاك عاد[6] . وتبعد عن خرائب (ديدان) بمسافة ثلاثة كيلومترات ،وقد سكنتها قبائل (بلي) من القبائل العربية القديمة[7] . وهي ملتقى طريق مصر القديم بطريق الشام . ويرى (موسل) أنها هي (العلا) ، دعيت بهذا الاسم فيما بعد[8] . ولما سأل (دوتي) الأعراب القاطنين في هذه الأماكن عن (قرح) ، لم يعرفوا من أمرها شيئاً[9] .

ووجد (دوتي) في قرى وادي القرى وخرائبه عدداً كبيراً من الحجارة المكتوبة بحرف المسند،وقد اتخذها السكان أحجاراً من أحجار البناء[10] . وعثر في (الخريبة) على كتابات بهذا القلم ، وعلى آثار أبنية ومواطن حضارة وعلى ألواح من الحجر كان يستعملها الصيارفة لصف نقودهم عليها ، أو لذبح القرابين[11] . كما شاهد موضعاً يقال له (اسطبل عنتر) على قمة جبل شاهق يرنو الى الوادي ولعله معبد أحد الأصنام التي كانت تعبد هناك .

---

١ البلدان (٨٧/٢)

٢ Ency., Vol., 4, P., 1077, Doughty, Travels in Arabia Deserta, London, 1936, Vol., 1, P., 187.

٣ Ency., Vol., 4 P., 1077.

٤ (وكان بين سبأ والشأم قرى متصلة ، فكانوا لا يحتاجون من وادي سبأ الى الشأم الى زاد) ، لسان العرب (٣٨/١٩) .

٥ البلدان (٢٠٧/٦) .

٦ وهبه ٢٠ .

٧ البلدان (٤٩/٧) .

٨ Musil, Hegaz, P., 295, Doughty, 1, P., 203.

٩ Musil, P., 295.

١٠ Doughty, I, P. 87

١١ Doughty, 1, P., 203 f.

تهامة :

وتبدأ حدود تهامة ، في رأي بعض الجغرافيين ، من بحر القلزم[1] ، فتكون المنطقة الساحلية الضيقة الموازية لامتداد البحر الأحمر[2] . ويقال لتهامة الواقعة في اليمن (تهامة اليمن) ، ويختلف عرضها باختلاف قرب السلاسل الجبلية من البحر وبعدها عنه ، وقد يبلغ عرضها خمسين ميلاً في بعض الأمكنة . وترتفع أرض تهامة الجنوبية الواقعة على البحر العربي ما اتجهت نحو الشرق ، وتتكون فيها سلاسل من التلال المؤلفة من حجارة كلسية ترجع الى العهود الجيولوجية الحديثة أو من حجارة بركانية[3] .

ولانخفاض أرض تهامة قيل لها (الغور) و (السافلة)[4] . وقد وردت لفظة تهامة على هذا الشكل (تهمت) (تهمّم) في النصوص العربية الجنوبية[5] .

ويظهر ان لهذه اللفظة علاقة بكلمة (Tiamtu) ، التي تعني البحر في البابلية . وبكلمة (تيهوم Tehom) العبرانية[6] . وعندي ان هذه الكلمة ترجع الى أصل سامي قديم ، له علاقة بالمنخفضات الواقعة على البحر ، والتي تكون لذلك شديدة الرطوبة والحرارة في الصيف[7] . ولهذا فإنها في العربية بلهجة القرآن الكريم وباللهجات الجنوبية السواحل المنخفضة الواقعة بين الجبال والبحر ، وهي حارة وخمة شديدة الرطوبة كأنها من بقاع جهنم في الصيف .

اليمن :

حدّ اليمن في عرف بعض العلماء من وراء « تثليث » وما سامتها الى صنعاء

---

١ (القلزم) بالضم ثم السكون ثم زاي مضمومة وميم ، البلدان (٧/١٤٥) .

٢ راجع حدود تهامة في : البلدان (٦/٣١١) ، صفة ٥٤ ، ١١٩ ، ١٢١ ، بلوغ الارب (١/١٨٨) .

٣ Ency., Vol., 4, P., 769.

٤ البلدان (٢/٤٣٧) ، (٦/٣١١) .

٥ Glaser 554, 618, Ency., Vol., 4, P., 764.

٦ Schrader, Die Keilinschriften und das Alte Testament, neu bearbeitet von Zimmern und Winckler, Berlin, 1903, S., 492.

٧ وساشير اليه برمز : KAT

وما قاربها الى حضرموت والشحر وعمان، الى عدن أبين وما يلي ذلك من التهائم والنجود . وقيل : يفصل بين اليمن وباقي جزيرة العرب خط ، يأخذ من حدود عمان ويبرين الى ما بين اليمن واليمامة فإلى حدود الهجيرة وتثليث وكثبة وجرش ومنحدراً في السراة الى شعف عنز وشغف الجبل أعلاه الى تهامة الى أم جحدم الى البحر الى جبل يقال له كرمل بالقرب من حمضة ، وذلك حد ما بين كنانة واليمن من بطن تهامة[1] . أما النصوص العربية الجنوبية ، فلم تثبت حدود اليمن. ولكن اليمن فيها وتسمى (يمنت) (يمنات) ، منطقة صغيرة ذكرت في نص يعود عهده الى أيام الملك (شمر يهرعش) ، المعروف في الكتب الإسلامية بـ (شمر يرعش)[2] ، بعد (حضرموت) في الترتيب . وعلى هذا الترتيب وردت أيضاً في نص (أبرهة) نائب النجاشي على اليمن . ويعود عهده الى سنة ٥٤٣ م[3] .

وتخترق السراة اليمنَ من الشمال الى الجنوب حتى البحر ، وتتخللها الأودية التي تنساب فيها مياه الأمطار،وتمتد بين الهضاب والشعاب فلاة تتفرع من الدهناء من ناحية اليمامة والفلج يقال لها (الغائط) ، وتظهر في أواسطها (الصيهد) ، وتقع بين مأرب وحضرموت[4] .

وفي شمال منطقة عدن صحراء تتصل بالربع الخالي ، يخترق الهضاب المهيمنة على عدن عدد من الأودية الجافة يظهر أنها كانت مسايل مياه ، وأنها من بقايا

---

١ KAT, S., 492, anm., 2, P. Jensen, Keilinschr. Bibl., VI, 1, S. 559 Ency. Vol. 4 P. 764

٢ (قال الاصمعي : اليمن وما اشتمل عليه حدودها بين عمان الى نجران ، ثم يلتوى على بحر العرب الى عدن الى الشحر حتى يجتاز عمان ، فينقطع من بينونة ، وبينونة بين عمان والبحرين ، فليست بينونة من اليمن ...) ، البلدان (٨١/٥) ، (٥٢٢/٨ وما بعدها) ، صفة ١٢٠ ، ١٢٥ ، ١٧٥ ، ١٨٨ ، البكري : معجم ما استعجم (١٦/١) ، ابن خرداذبه ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٨٩ بلوغ الارب (٢٠٢/١ وما بعدها) و Ency., Vol., 4, P. 1155

٣ الاكليل (١٠٨/٨ وما بعدها) ، التيجان ص ٢٢٢ فما بعدها ، اخبار عبيد ص ٤٢٨ ، تاريخ الطبرى (٥٤٧/١ ، ٧٩٣ فما بعدها) ، (الطبعة الاوربية) Glaser, Zwei Inschrifen ueber den Dammbruch von Marib, in Mitheil. der Vorder-Asiat. Ges. 1887.

٤ صفة ٨٤ ، البلدان (٤١٩/٥) .

أنهار جفت ، وتسيل في بعضها المياه عند سقوط الأمطار ، ومنها (وادي تبن)[١]، وهو من بقايا نهر طويل ، له فروع عديدة ، وتمر به الطريق الرئيسية المؤدية الى اليمن[٣] .

ويخترق حضرموت واد ، يوازي الساحل ، يبلغ طوله بضع مئات من الأميال ويتألف سطحه من أرضين متموجة تتخللهـا أودية عميقة تكثر فيها المياه ، في باطن الأرض ، وبعض تلاله مخصبة[٣] .

وفي حضرموت حجارة بركانية ومناطق واسعة ، يظهر أنها كانت تحت تأثير البراكين . والظاهر أن دورها لم ينته إلا منذ عهد ليس ببعيد[٤] . ويزرع الناس في هذه الأودية حيث يحفرون آباراً في قيعانها فتظهر المياه على أبعاد متفاوتة ، وهنالك نهر يقال له نهر حجر[٥] .

ومن شرق سيحوت تبتدىء سواحل (مهرة) ، وتعرف عند الجغرافيين باسم (الشحر) . ومعنى كلمة (مهرة) في العربية الجنوبية القديمة (ساحل)[٦] . ويطلق اليوم اسم (الشحر) على الميناء الغربي وحده . وفي (قارة)[٧] مدينة (ظفار) ، وهي غير ظفار اليمن[٨] . وعند خليج ظفار كان موضع (Syagro) المشهور عند اليونان والرومان[٩] .

ويمتد اقليم ظفار من سيحوت الى حدود عمان ، وهو هضبة يبلغ ارتفاعها ثلاثة آلاف قدم ، تهب عليها الرياح الموسمية ، وفوق جبالها تنمو أشجار الكندر التي اشتهرت بها بلاد العرب قبل الإسلام . وتشقها طولاً وعرضاً أودية تكسوها

---

١ Hugh Scott, In the High Yemen, P., 25, f.

٢ Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 179 f.

٣ وادي عدم : الهلال ، الجزء السادس عشر ، السنة السادسة ، نيسان ١٨٩٨ ص ٦٠٣ ، Adolf von Wrede, S., 290, Ency., 1, P., 369.

٤ Ency., 1, P., 369, Reise, S., 287. ff.

٥ تأريخ حضرموت السياسي ، تأليف صلاح البكرى (٣/١) ، (القاهرة ١٣٥٤) ، (نهر ميفع) ، الهلال ، العدد المذكور ص ٦٠٤ ، وقد تحدث صاحب المقال عن الاثار التي رآها في وادي عدم .

٦ البكرى (١٤١/٢ فما بعدها) ، Ency., 1, 369

٧ وتنمو في قارة نباتات الطيب والافاويه ، Hugh Scott, PP., 147.

٨ Reise, S., 39.

٩ Reise, S., 33, Forster, Vol., 2, P., 161, 166, 224 234.

الأعشاب وتتخللها الأشجار . وبها جبال (قرا)[1] ، ومنحدراتها أرجوانية ، وقد تفتتت الصخور الحمر فيها ، فأكسبت الأودية والسهول الحمرة ، وتوجد نهيرات وعيـــون ، ويمكن الحصول على المياه بحفر الآبار . ولا زال السكان يحتفظون بعاداتهم القديمة الموروثة مما قبل الإسلام[2] .

ويظهر أن هذه المنطقة كانت أماكن (القريين) من الشعوب العربية الجنوبية القديمة ، وهناك قبيلـــة لا تزال حتى اليوم يقال لها (بنو قرا)[3] لعل لها صلة بالقريين .

ويتكلم أهل (مهرة) بلهجة خاصة ، يقال لها (المهرية) أو (الأمهرية) ، وهي متأثرة بالجعزية[4] . كما يتكلم أهل قارة (قرا) بلهجه يقال لها (أحكيلية) ، ويظن انها من اللهجات العربية القديمة .

وتتألف أرض عمان من أماكن جبلية ، وهضاب متموجة ، وسهول ساحلية. وأكثر حجارتها كلسية وغرانيتية ، وفيها أيضاً حجارة بركانية . والظاهر انهـا كانت من مناطق البراكين[5] . وفي مناطق التلال وفي (جعلان) عيون ومجاري مياه معدنية أكثرها ذات درجات حرارة مرتفعة . وتوجد آبار في (الباطنة) وفي المناطق المجاورة للصحراء وفي الأقسام الشرقية من عمان[6] .

وتتخلل هضاب عمان وجبالها أودية معظمها جاف ، وتكون طرق المواصلات بين الساحل والأرضين الباطنة ، وجوّها حار استوائي ، وتتجه الجبال من الشمال الغربـي الى الجنوب الشرقي ، وأعلى قمة فيها هي قمة الجبل الأخضر ، ويبلـغ ارتفاعها تسعة آلاف قـدم . والأرضون المحيطة بهذا الجبل ، خصبة ، وقابلة للاستثمار[7] .

---

١ Hugh Scott, P., 147.

٢ اليافعي (٢٠١/٢ فما بعدها) .

٣ اليافعي (٢٠٦/٢ فما بعدها) .

٤ Reise, S., 33, Leo Hirsch, Reisen in Sued-Arabien, Mahra Und Hadramut, Leiden, 1897, S., 19, 34, 51, 52, 53.

٥ Handbook of Arabia, Vol., 1, P., 238, Ency. Brit., Vol., 16, P., 785.

٦ Handbook, Vol., 1, P., 238, Leo Hirsch, S., 183.

٧ S.H. Steinberg, The Statesman's Yearbook, London, 1948, P., 689.

وفي عمان مدن قديمة ، منها (صحار) و (نزوة)[1] و (دبا) أو (دما) ، وكانت من المدن المهمة في أيام الرسول ، وهي عاصمة عمان الشمالية ، كما كانت سوقاً من أسواق الجاهلية ، وسكانها من الأزد . والعمانيون من الشعوب البحرية المحبة لركوب البحار ، ولهم صلات وروابط بسواحل افريقية والهند . ونجد بينهم عدداً كبيراً من الزنوج والهنود والفرس والبلوج[2] .

العروض :

وأما العروض ، فيشمل اليمامة والبحرين وما والاها[3] . وأغلب الأرضين فيه صحارى وسهول ساحلية ، ترتفع في الجهات الغربية عن ساحل البحر . ويمتد مرتفع الصمان الصخري موازياً لساحل الخليج ، متوسطاً بين الأحساء والدهناء . ومن أودية الأحساء ، وادي فروق في الجنوب ، وهو قسم من وادي المياه[4] .

ومن أقسام العروض ، شبه جزيرة (قطر) التي تمتد من عمان الى حدود الأحساء[5] . يشتغل سكانها بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ ، وقد عرفت بـ (Cataraei) عند (بلينيوس)[6] . ومعظم أراضيها صحارى،وفيها واحات قليلة ، ويزرع السكان في بعض الأماكن على مياه الآبار[7] . وقد عرفت قديماً بأنواع من الثياب والمنسوجات القطرية ، كانت تصدَّر الى الخارج ، كما عرفت بتصدير النجائب والنعام[8] .

ويلي شبه جزيرة قطر ، (الأحساء) ، وكان يقال لهذه المنطقة قديماً (هجر)

---

١ البلدان (٣٠/٤) ، (٣٣٩/٥ ، ٢٨١/٨) .

٢ Steinberg, P., 690, O'shen, The Sand Kings of Oman, London, 1947.

٣ البلدان (١٠١/٣) ، (١٦٠/٦) .

٤ وهبة ٦٨ ، (الصمان) ، بالفتح ثم التشديد واخره نون ، البلدان (٣٨٣/٥) .

٥ البلدان (١٢٣/٧) ، Steinberg, P., 692.

٦ Pliny, Natura. Hist., VI, 28, 147, Ency., Vol., 2, P., 817 Sprenger, Geogr. Arab. S., 116, Skizze, BD., 2, S., 75.

٧ Ency., Vol., 2, P., 817, Fr. Stuhlmann, Der Kampf um Arabien, S., 177, Palgrave, Travels in Arabia, London, 1865, Vol., 2, PP., 232.

٨ البلدان (١٢٣/٧) .

والبحرين[1] . والقسم الأكبر من الأحساء ، سهل صحراوي ، يرتفع في الجهة الغربية عن ساحل البحر ، ويتخلله كثير من التلال ، يتجه بعضها باتجاه وادي المياه وجبل الطف[2] . والمنطقة الساحلية ، سبخة في الغالب ، وتكثر فيها الآبار التي لا تبعد مياهها كثيراً عن سطح الأرض . وأغنى مناطق الأحساء ، منطقة الأحساء والقطيف في الجنوب حيث تكثر المياه من آبار وعيون[3] .

وتظهر المياه الجوفية المنحدرة من الأمطار التي تتساقط بمقدار أربع عقد أو خمس عقد (انج) في السنة على حافات جبل (طويق) في (الهفوف) ، تظهر فيها على شكل عيون ، تبلغ زهاء أربعين عيناً ، جعلت المنطقة من أهم الواحات في المملكة العربية السعودية[4] . وبحذاء هجر في الجنوب الغربي من مدينة القطيف تقع (العقير) ، وهي الآن ميناء صغير[5] . وعلى مقربة منها خرائب عادية ، يعتقد العلماء أنها موضع (Gerrhaei) المدينة التجارية العظيمة التي اشتهر أمرها ، وبلغت شهرتها اليونان والرومان[6] . وكانت محطة من المحطات التجارية العالمية ، وملتقى طرق القوافل التي كانت ترد من جنوب بلاد العرب قاصدة العراق . وقد أغرت الطامعين ، فطمعوا في الاستيلاء عليها ، وأوحت الى الكتبة (الكلاسيكيين) ، فكتبوا فيها قصصاً من نسج الخيال ، وتقع على خليج سمّاه (الكلاسيكيون) (Sinus Gerraicus) ، أي خليج جرهاء[7] .

وتقع القطيف على خليج يشمل جزيرة (تاروت) وتعد المدينة البحرية الرئيسية في الأحساء ، يرتفع سطحها بضع أقدام عن سطح البحر ، وتكثر بها مياه العيون[8] . وتشاهد عندها خرائب عادية ، يستدل منها على أن هذه المدينة كانت

---

١ وهبة ٦٨ . Handbook, Vol., 1, P., 298

٢ الطف ، بالفتح والفاء مشددة ، البلدان (٥١/٦) ، وهبة ٦٨ ،

٣ وهبة ٦٨ ، Handbook, Vol., 1, P., 298

٤ Sanger, The Arabian Peninsula, P., 58.

٥ وهبة ٧٢ فما بعدها ، البلدان (١٩٨/٦) ، مروج الذهب (٩١/١) ، Handbook, Vol., 1, P., 308, Chesman, PP., 27,
وكانت هجر قصبة بلاد البحرين ، البلدان (٤٤٦/٨)

٦ الجرعاء ، « Gerraei » Forster, Vol., P., 217, "Gerraei", Glaser, Skizze, Bd, 2, S. 75.

٧ Strabo, Vol., 3, P., 186, 187, Forster, Vol., 2 P. 217.

٨ Forster, Vol., I, P., 196, 197, 291, Vol., 2, P. 220. Cornwall in The National Geographical Magazine, April, 1948.

ذات تأريخ قديم ، ربما يعود الى آخر عهد من عهود العصر النحاسي .

وفي هذه المنطقة ، يجب أن يكون موقع مدينة (بلبانا) (Bilbana) (Bilaena) (Bilana) ، احدى مدن (الجرهائيين)[1] . ومواطن قبيلتي (Gaulopes) و (Chateni) على سواحل خليج سماه (بلينوس) (Sinus Gaulopeus) أي (خليج كيبيوس) . ويرى (شبرنكر) أنه (خليج القطيف)[2] . ويذكرنا اسم (Chateni) (خطيني) باسم (الخط) ، ويطلق في العربية على سيف البحرين كله[3] . وربما كان (كيبيوس) ، الذي سمّي الخليج به ، هو تحريف (Cateus) الذي يشير بكل وضوح الى اسم (القطيف) .

وأما جزيرة (تاروت) الصغيرة التي في هذا الخليج ، فالظاهر انها جزيرة (Tahr) أو (Taro) أو (Ithar) في جغرافية (بطليموس)[5] ، وفيها مدينة (دارين) . ويظهر انها أقيمت على أنقاض أبنية قديمة ، ولعلها كانت معبداً للإلـه (عشتروت) . اشتهرت به ، ثم حذف المقطع الأول من اسم الإلـه اختصاراً ، وصارت تعرف بالمقطعين الأخيرين ، وهما (تاروت) .

والقسم الأكبر من أرض الكويت منبسط ، وأكثر السواحل رملي، الا بعض الهضاب أو التلال البارزة . وفي المحالّ التي تتيسر فيها المياه تتوافر الزراعة ، وأكثر ما يزرع هناك النخيل . وليس في الكويت من الأنهار الجارية غير مجرى واحد أو نهر يقال له (المقطع) ، يصب في البحر . ومشكلة ماء الشرب من أهم المشكلات في هذه الإمارة ، لأن ماء أغلب الآبار ملح أجاج،ولذلك يضطر الأغنياء الى جلب المياه من شط العرب[6] .

ومن أشهر مدن الكويت مدينة (الكويت) ، وهي العاصمة ، وهي على ساحل الخليج ، و (جهرة) ، وهي في منطقة زراعية خصبة ، ذات آبار على مقربة من خليج الكويت[7] . ويظن أن الخندق الذي أمر بحفره (سابور ذو الأكتاف)

---

١ Forster, Vol., 2, P., 216, Glaser, Skizze, 2, S., 74.

٢ Enc., 2, P., 821.

٣ البلدان (٣/٤٤٩) ، المفضليات ص ٢٤٥ .

٤ Forster, Vol., 2, P., 216.

٥ Forster, Vol., 1, P., 298, 301, Vol., 2, P., 216 217 220 Glasser Skizze 2 S. 76.

٦ Handbook, Vol., 1, P., 285, Ency., 2, P., 1173. ، وهبة ص ٧٦

٧ (الجهرة) ، وهبة ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ ، ومواضع اخرى Handbook, Vol., 1, P., 296.

ليحمي السواد من غزو الأعراب ، كان ينتهي في البحر عند (خليج كاظمة) في شمال الإمارة[1] .

وأرض الكويت ، مثل سائر أرض العروض ، كانت موطن شعوب قديمة ، فيظهر أن (Bukae) أو (Abucaei) أو (Abukae) ، وعاصمتهم مدينة (Coromanis) ، هم أسلاف بني عبـد القيس ، وأن (Coromanis) ، المصدر اللغوي الذي اشتق منه (القرين) ، الاسم القديم للكويت[2] .

ولعلّ (Idicare) هي (قارة) من مواضع الكويت[3] ، وان (Jucara) هي (الجهرة) من أخصب مناطق الكويت في الزمن الحاضر، وكانت من المواضع المأهولة قبل الإسلام[4] .

وقد عرف (ياقوت) البحرين بأنها الأرضون التي على ساحل بحر الهند بين البصرة وعُمان ، وذكر أن من الناس من يزعم أن البحرين قصبة هجر ، وأن منهم من يرى العكس ، أي ان هجراً هي قصبة البحرين[5] .

أما (أبو الفداء) فذكر أن البحرين هي ناحية على (شط بحر فارس) ، وهي ديار القرامطة ولها قرى كثيرة ، وبلاد البحرين هي هجر . وذكر أيضاً أن من الناس من يرى أن هجراً اسم يشتمل جميع البحرين كالشام والعراق ، وليس هو مدينة بعينها[6] . ويظهر من دراسة مـا ذكره العلماء عن البحرين أن رأيهم في حدودها كان متبايناً ، وأنهم لم يكونوا على اتفاق في تحديدها، فتارةً يوسعونها ، وتارة يقلصونها .

ومن مواضع البحرين (محلّم) ، وبه نهر اشتهـر بنخله ، واليـه أشار (بشر بن أبـي خازم الأسدي) بقوله :

كأن حد وجهم لمّا استقلوا نخيل (محلّم) فيها ينوع[7]

---

١ Ency, 2, P., 1173.

٢ تاريخ الكويت ، لعبد العزيز الرشيد (بغداد ١٩٢٦) ، (١/٢٣) ، Forster, Vol., 2, P., 213.

٣ وهبة ص ٧٩ ، Forster, Vol., 2, P., 214.

٤ Forster, Vol., 2, P., 214.

٥ البلدان (١/٣٤٦) (دار بيروت للطباعة والنشر ١٩٥٥) .

٦ تقويـم البلدان (ص ٩٩) .

٧ ديوان بشر (ص ١٣٠) .

اليمامة :

وأما اليمامة ، فكانت تعرف بـ (جو) أيضاً[1] ، وقد عدّها (ياقوت الحموي) من نجد[2] ، وقاعدتها (حجر) . وكانت عامرة ذات قرى ومدن عند ظهور الإسلام ، منها (منفوحة) ، وبها قبر كان ينسب الى الشاعر (الأعشى)[3] . و (سدوس) من المدن القديمة ، وبها الآن آثار كثيرة ، وقد عثر فيها على تمثال يبلغ قطره ثلاث أقدام ، وارتفاعه ٢٢ قدماً[4] . و (القرية) ، وعلى مقربة منها بئر ، قال الهمداني — وهو يتحدث عنها — : « فإن تيامنت شربت ماءً عادياً ، يسمى قرية ، الى جنبه آبار عادية وكنيسة منحوتة في الصخر ، ثم ترد نجر »[5] . والظاهر أن هذا الموضع كان من المواضع الكبيرة المعروفة . وذكر ياقوت وغيره ان اليمامة « كانت تسمى جوا والقرية »[6] . ولا يعقل تسمية اليمامة بالقرية لو لم يكن لهذا الموضع شهرة .

وقد نشر (فلبي) وبعض رجال شركة النفط العربية السعودية صوراً فوتوغرافية لكتابات ونقوش عثروا عليها في موضع يقال له (قرية الفأو) على الطريق الموصلة الى نجران ويقع على مسافة سبعين كيلومتراً من جنوب ملتقى وادي الدواسر بجبل الطويق ، وعلى مسافة (١٢٠) كيلومتراً من شرقي (نجران)[7] ،

---

١ صفحة ١٦١ ، البلدان (٥١٦/٨) ، (واليمامة القرية التي قصبتها حجر ، كان اسمها فيما خلا جوا . وفي الصحاح كان اسمها الجو) ، لسان العرب (١٣٥/١٥)

٢ البلدان (٥١٦/٨)

٣ البلدان (١٨٢/٨) ، صفحة ١٦٢ .

٤ وهبة ص ٥١ ،راجع وصف (فلبي) لسدوس في كتابه
Arabia of the Wahabis, P., 77.

٥ صفحة ص ١٥٢ .

٦ البلدان (٥١٦/٨) ، وقد نزل بنو سدوس بن شيبان بن ذهل ، ولذلك قيل لها (قرية بني سدوس) ، قال ياقوت : (قرية بني سدوس بن شيبان بن ذهل، وفيها منبر وقصر يقال أن سليمان بن داوود عليه السلام بناه من حجر واحد من أوله الى اخره ، وهي اخصب قرى اليمامة ، لها رمان موصوف ، وربما قيل لها القرية) ، البلدان (٤٦/٥) (٧٦/٧) .

٧ The Geographical Journal, Vol., CXII, June, 1949, PP., 86,
Le Museon, LXII, (1949), 1-2, PP., 87.
راجع ايضا ما كتبه (فلبي) في بعض مؤلفاته عن هذا الموضع .

وعلى ثلاثين ميلاً من جنوب غربي (السليل) في وادي الدواسر[1] .

كما وجدوا آثار أبنية ضخمة ، يظهر انها بقايا قصور كبيرة، ووجدوا كهفاً منحوتاً في الصخر مزداناً بالكتابات والتصاوير واسعاً ، يقول له الناس هناك (سردباً) أو (سرداباً) . وعند هذا الموضع عين ماء وآبار قديمة ، وقد كتب اسم الصنم (ود) بحروف بارزة . وتدل كل الدلائل على ان الموضع الذي تتغلب عليه الطبيعة الصحراوية في الزمن الحاضر ، كان مدينة ذات شأن[2] .

وقد أشار الألوسي في كتابه (تأريخ نجد) الى سدوس وآثارها فقال : (وفي قربها أبنية قديمة يظن أنها من آثار حمير وأبنية التبابعة . (نقل لي بعض الأصحاب الثقات من أهل نجد : ان من جملة هذه الأبنية شاخصاً كالمنارة ، وعليها كتابات كثيرة منحوتة في الحجر ومنقوشة في جدرانها . فلما رأى أهل قرية سدوس اختلاف بعض السياحين من الإفرنج اليها ، هدموها ملاحظة التدخل معهم)[3] . وفي هذا الوصف دلالة على أن الخرائب التي ذكرها (ياقوت الحموي) بقيت ، وأن المنبر الذي أشار اليه ، قد يكون هذا الشاخص الذي شبه بالمنارة والذي أزيل علي نحو ما ذكره الألوسي .

والكتابات التي عثر عليها في (قرية الفأو) ذات أهمية كبيرة ، لأنها أول كتابة باللهجات العربية الجنوبية عثر عليها في هذه المواضع ، وتعود الى ما قبل

---

١ كتاب من الدكتور (جورج ماثيوس) تأريخه ٣٠ اغسطس ١٩٥٠ م في تعيين وضع المكان . (قرية : موضع في جنوب نجد ، في الطريق بينه وبين نجران ، ويبعد عن نجران ٣٤٣ كيلو مترا وعن الافلاج الواقعة في جنوب نجد (٣٨٣) كيلو متر (الافلاج تبعد عن الرياض ٢٧٣ كيلو متر) ، ويقع بينها وبين الافلاج العقيق ـ الموقع الذي ذكره الهمداني في صفة الجزيرة ، واشار الى وجود جالية اجنبية فيه في العهد القديم تشتغل بالتعدين ، واشار الي معبد منحوت في الصخر في تلك الجهة ، وبلغني ان في الجبال القريبة من (قرية) هذه ـ كتابات ونقوشا وصورا كثيرة . وقد مر بها المستر فلبي ، وتبعد عن العقيق ٩٤ كيلو مترا في جنوبه . ويبعد العقيق عن الافلاج ٢٨٠ كيلو مترا تقريبا) . كتاب من السيد حمد الجاسر تأريخه ١٣ نوفمبر ١٩٥٠
(العقيق مدينة فيها مئتا يهودي ، ونخل كثير ، وسيوح وابار) ، صفة ١٥٢ ، البلدان (٦/١٩٨)

٢ The Geographical Journal, CXIII, June, 1949, P., 90, Philby, Sheba's Daughter's, P. 430

٣ تاريخ نجد (ص ٢٨) .

الميلاد . وعثر فيها على مقابر ، وعلى أدوات وقطع فخاريـــة ظهر من فحصها أنها تعود الى القرن الثاني قبل الميلاد[1] . ويرى من فحص هذه الآثار أنها تعود الى السبئيين . والظـــاهر أن هذا الموضع هو بقايا مدينة قديمة كانت تتحكم في الطريق التجارية التي تخترقها القوافل التي تقصد الخليج الفارسي والعراق من اليمن عن طريق نجران . وفي هذه المنطقة بصورة عامة بقايا مدن تخربت قبل الإسلام .

ورأى (برترام توماس) (Bertram Thomas) أن آبار (العويفرة) القريبة من القرية هي موضع (أوفير) (Ophir) الوارد ذكره في التوراة والذي اشتهر بالذهب ، والطواويس ، وان الاسم العربي القديم هو (عفر) (Ofar) ،وقد تحرف بالنقل الى العبرانية واليونانية ، فصار (Ophir) . وهذا الموضع قريب من مناجم الذهب[2] . وبالجملة إن هذه الأرضين ويبرين ووبار وغيرهـــا ، هي من المناطق التي تستحق الالتفات اليها وتجريد البعثات العلمية للتنقيب فيها ودراسة أحوالها والتطورات التي طرأت عليها .

ويظهر ان هنالك جملة عوامل أثرت في اليمامة وفي أواسط جزيرة العرب ، فحولت أراضيها الى مناطق صحراوية ، على حين أننا نجد في الكتب انها كانت غزيرة المياه ، ذات عيون وآبار ومزارع ومراع .

ومن أودية اليمامة (العرض) (العارض) الذي يخترق اليمامة من أعلاها الى أسفلها . ولما كان من الأودية الخصبة ، كثرت فيها القرى والزروع[3] . وهو واد طويل ، لعله من بقايا مجرى ماء قديم ، و (الفقي) ، في طرف عارض اليمامة ، تحيط به قرى عامرة،تسمى (الوشم)[4] . و (وادي حنيفة) و (عرض شمام)[5] . وفي اليمامة مرتفعات مثل (جبل شهوان) ، تخرج منه عيون ومياه[6] ، و (عارض اليمامة) ، ويبلغ طوله مسيرة أيام ، وتكون عند سفوحه الآبار[7] .

---

١ The Geogr. Jour., Vol., CXIII, June, 1949, P., 92, Sanger, The Arabian Peninsula, P., 139.

٢ The Empty Quarter, P., 177, Bertram Thomas, Arabia Felix, P., 163.

٣ البلدان (١٤٦/٦ فما بعدها) ، (١٢٨/٨) ، صفة ١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٧ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ويقال له أحيانا عرض حجر .

٤ (الوشم) بالفتح ثم السكون ، البلدان (٤٢٤/٨) ، صفة ١٦٣ .

٥ البلدان (١٤٧/٦) .

٦ البلدان (٣٨٦/٧) .

٧ البلـــدان (٣٨٩/٦) ، (عارض) (عارض اليمامـــة) ، البلـــدان ـ ٩٣/٦ ـ (العارض) ، وهبة ٦ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥١ ومواضع اخرى ، صفة ص ١٦٣ .

وتعد (الأفلاج) من المناطق التي تكثر فيها المياه ، وتصب فيها أودية العارض، وفيها السيوح الجارية والجداول التي تمدها العيون . وقد ذكر (الهمداني) من سيوحه (الرقادى) و (الأطلس) و (نهر محلّم) . قال : ويقال انه في أرض العرب بمنزلة نهر بلخ في أرض العجم[1] . وطبيعي ان يكثر فيها وجود الخرائب العاديـــة التي تعود الى ما قبـــل الإسلام . وقد وصف الهمداني بعض التحصينات القوية ، فقال عنها : انها من عاديات طسم وجديس ، مثل (حصن مرغم) و (القصر العادي) بالأثل[2] . ويرجع (فلبي) الخراب الذي حل باليمامة الى العوامل الطبيعية ، ومنها فيضان وادي حنيفة[3] .

نجد :

نجد في الكتب العربيـــة « اسم للأرض العريقة التي أعلاهـا تهامة واليمن ، وأسفلها العراق والشام »[4] . وحدها ذات عرق من ناحية الحجاز ، ومـا ارتفع عن بطن الرمة ، فهو نجد الى أطراف العراق وبادية السماوة[5] . وليست لنجد في هذه الكتب حدود واضحة دقيقة ، وهي بصورة عامة الهضبة التي تكون قلب الجزيرة ، وقد قيل لها في الانكليزية : (The Heart of Arabia)[6] . وتتخلل الهضبة أودية وتلال ترتفع عن سطح هذه الهضبة بضع مئات من الأقدام، وتتألف حجارتها في الغـــالب من صخور كلسية ومن صخور رملية غرانيتيـــة في بعض المواضع . وأعلى أراضيها هي أرَضو نجد الغربية المحاذية للحجاز ، ثم تأخذ في الانحدار كلما اتجهت نحو الشرق حتى تتصل بالعروض .

وتتألف نجد من الوجهة الطبيعية من مناطق ثلاث :

---

١ صفة ص ١٦٠

٢ صفة ص ١٦٠

٣ Ency., Vol., 4, P., 1155, Philby, The Heart of Arabia, Vol., 2, PP. 31.

٤ البلدان (٢٥٨/٨ فما بعدها) ، الالوسي : محمود شكري ، تاريخ نجد (الطبعة الثانية) ، القاهرة (١٣٤٧ هـ) ، (ص ٧ فما بعدها) .

٥ صفـــة ص ٤٨

٦ K. S. Twitchell, Saudi Arabia, P., 6, Stamp, P., 137.

١ ـ منطقة وادي الرمة ، وتتألف أرضوها من طبقات طباشيرية في الشمال وحجارة رملية في الجنوب ، وتغطي وجه الأرض في بعض أقسامها طبقات مختلفة السمك من الرمال ، وتتخللها أرضون خصبة تتوافر فيها المياه على أعماق مختلفة ، ولكنها ليست بعيدة في الجملة عن سطح الأرض ، وتتسرب اليها المياه من المرتفعات التي تشرف عليها وخاصة من جبل شمر[١] ، ومن الحرار الغربية التي تجود على الوادي بالمياه . ويختلف عرض وادي الرمة ، فيبلغ زهاء ميلين في بعض المحلات ، وقد يضيق فيبلغ عرضه زهاء (٥٠٠) ياردة ، وتصل مياه السيول الى ارتفاع تسع أقدام في بعض الأوقات[٢] .

٢ ـ المنطقة الوسطى ، وهي هضبة تتألف من تربة طباشيرية ، متموجة ، تتخللها أودية تتجه من الشمال الى الجنوب . وبها (جبل طويق) ، والأرض عنده مؤلفة من حجارة كلسية ، وحجارة رملية ، ويرتفع زهاء (٦٠٠) قدم عن مستوى الهضبة . وتتفرع من جبل طويق عدة أودية تسيل فيها المياه في مواسم الأمطار ، فتصل الى الربع الخالي فتغور في رماله . ويمكن اصلاح قسم كبير من هذه المنطقة ، ولا سيما الأقسام الواقعة عند حافات وادي حنيفة[٣] .

٣ ـ المنطقة الجنوبية ، وتتكون من المنحدرات الممتدة بالتدريج من جبل طويق ومرتفعات المنطقة الوسطى الى الصحارى في اتجاه الجنوب . وفيها مناطق معشبة ذات عيون وآبار ، مثل (الحريق) و (الخرج) ، ويرى الخبراء ان مصدر مياه هذه المنطقة من جبل طويق ومن وادي حنيفة . ومن مناطقها المشهورة (الأفلاج) و (السليل) و (الدواسر) ، وفي جنوب هذه المنطقة تقل المياه ، وتظهر الرمال حيث تتصل عندئذ بالأحقاف .

ويقسم علماء العرب نجداً الى قسمين : نجد العالية ، ونجد السافلة . أما العالية فما ولي الحجاز وتهامة[٤] . وأما السافلة ، فما ولي العراق . وكانت نجد حتى القرن السادس للميلاد ذات أشجار وغابات ، ولا سيما في (الشربة) جنوب (وادي الرمة) وفي (وجرة)[٥] .

---

١ وهبة ص ٦٠

٢ Handbook, Vol., 1, P., 349.

٣ Ency., Vol., 3, P., 894, Handbook, Vol., 1, P., 349.

٤ البلدان (٨/١ ٤٠) ، تاريخ نجد ص ٨ .

٥ Ency., Vol., 3, P., 895, Philby, The Heart of Arabia, 1, P., 115.

وفي جزيرة العرب وبادية الشام أرضون يمكن أن تكون مورداً عظيماً للماشية بل وللحبوب أيضاً ، لو مسها وابل وهطلت عليها أمطار ، وتوفرت فيها مياه، فإن أرضها الكلسية تساعد كثيراً على تربية الماشية بجميع أنواعها . كما تساعد على الاستيطان فيها ، ولهذا يتحول بعضها الى جنان تخلب الألباب وتسحر النفوس عند هبوط الأمطار عليها ، فتجلب اليها الانسان يسوق معه إبله لتشبع منها . ولكن هذه الجنان لا تعمر ، ويا للأسف ، طويلاً ، فيضطر أصحاب الإبل الى الذهاب الى أرضين أخرى ، والى التنقل من مكان الى مكان ، فصارت حياته حياة تنقل وهي حياة الأعراب .

أما وقد انتهيت من الحديث إجمالاً عن صفة جزيرة العرب وعن حدودها ورسومها العامة ، فلا بد لي من الإشارة الى جزيرة (سقطرى) (سوقطره) من الجزر التي تقابل الساحل العربي الجنوبي ، وهي جزيرة كانت تعادل وزنها ذهباً يوم كان البخور والصبر يعادلان بالذهب[1] . أما اليوم فما زال سكانها يجمعون الصبر والبخور والندّ ، ولكنهم لا يجدون لحاصلهم السوق القديمة لزوال دولة المعابد والملوك الآلهة ، وحلول عهد الذرة والبترول . وسكانها منذ القديم، خليط من عرب وإفريقيين وهنود ويونان . يتكلمون بلغة خاصة هي من بقايا اختلاط اللغات في هذه الجزيرة ، فيها اللهجات العربية الجنوبية القديمة والمصرية والإفريقية. وهم يعيشون في كهوف ومغاور في الغالب ينالون رزقهم من الطبيعة بغير جهد. وترى في الجزيرة آثار الماضي وقد اختلط بعضه ببعض ، لتداخل الحكم في هذه الجزيرة الثمينة التي هي اليوم في قبضة الانكليز .

والآن وقد وقفت على صفة جزيرة العرب ، وعرفت على سبيل الاجمال معالم وجهها ، وكيف تغلبت الصحراوية ، وظهر الجفاف عليها ، فإن في وسعك أن تكوّن رأياً في سبب قلة نفوس جزيرة العرب في الماضي وفي الحاضر ، وفي سبب عدم نشوء مجتمعات حضرية وحكومات مركزية كبيرة فيها ، وفي سبب تفشي البداوة وغلبة الطبيعة الأعرابية على أهلها وبروز الروح الفردية عند أهلها، وتقاتل القبائل بعضها مع بعض . ونفرة أهلها من الزراعة والحرف واعتدادهم اياها من حرف الوضعاء والرقيق . إن بيئة تحكمت فيها الطبيعة على هذا النحو،

---

١ جان جاك بيربي : جزيرة العرب (ص ١٩٢ فما بعدها) .

لا يمكن أن يشاكل سكانها سكان المناطق الباردة ذات الأمطار الغزيرة والخضرة الطبيعية الدائمة، أو سكان الأرضين التي حباها الله الخصب والأنهار والماء الغزير. من هنا اختلفت حياة العرب عن حياة غيرهم من الشعوب.

وللسبب المتقدم، أي بسبب تحكم الطبيعة في مصير الانسان، انحصرت الحضارة في جزيرة العرب في الأماكن المعطورة والأماكن التي خرجت فيها المياه الجوفية عيوناً وينابيع، أو قاربت المياه فيها سطح الأرض، فأمكن حفر الآبار فيها. في هذه المواضع نبعت الحضارة وأظهر العربي فيها أنه مثل غيره من البشر قادر على الابداع حين تتهيأ له الأحوال المواتية، وتساعده الطبيعة، ومن هذه الأماكن نستقي علمنا في العادة عن الجاهليين.

وعلى الرغم من سعة مساحة جزيرة العرب واتساعها، فإنها لم تتسع لعدد كبير من السكان لأن معظم أرضها صحراوية، لا تجذب الناس اليها ولا تساعد على ازدياد عدد السكان فيها ازدياداً كبيراً، غير ان ذلك لا يعني أنها لا يمكن أن تتسع لعدد أكبر من سكانها الحاليين، وان طاقتها لا يمكنها أن تتحمل هذا العدد أو ضعفه، بل الواقع هو أن في استطاعة الجزيرة تحمل أضعاف أضعاف هذا العدد، لو تهيأت لها حكومات حديثة رشيدة، تأخذ بأساليب العلم الحديث في استنباط مواردها الطبيعية لمصلحة أهلها وفي تحسين الصحة العامة وايجاد موارد رزق للناس، وضمان الأمن والسلامة لهم، واسكان الأعراب، وعمل ما شاكل ذلك من أمور. فإن سكان الجزيرة سيزدادون حتماً، ويبلون أضعاف أضعاف ما هم عليه اليوم.

ونجد بين سكان جزيرة العرب في الوقت الحاضر اختلافاً في الملامح الجسمية. فأهل أعالي نجد هم أقرب في الملامح الى قبائل عرب الأردن وعرب بادية الشام. وأهل الحجاز والسواحل، يختلفون بصورة عامة عن أهل البواطن، أي باطن الجزيرة، في الملامح بسبب اختلاط أهل السواحل بسكان السواحل المقابلة لهم، وامتزاج دمائهم. وقد أجرى بعض الباحثين المحدثين فحوصاً علمية على السكان في مواضع متعددة من جزيرة العرب لمعرفة الملامح البارزة عليهم والأصول التي يرجعون اليها، فوجدوا أن هناك امتزاجاً واضحاً بين السكان يظهر بصورة خاصة في السواحل، وهو امتزاج يرجع بعضه الى ما قبل الإسلام ويرجع بعض آخر الى الزمن الحاضر[1].

---

1 Naval, P., 365.

ولم يكن لسان عرب الجاهلية لساناً واحداً ، ولكن كان كما سنرى ألسنة ولهجات . وقد استطعنا بفضل الكتابات الجاهلية أن نقف على بعضها . أما في الزمن الحاضر ، فإن لغة القرآن الكريم هي اللغة المتحكمة الموحدة للألسنة، وهي لغة العلم والأدب والحكومات ، غير أن بعض القبائل لا تزال تحتفظ بلهجاتها القديمة ، وكذلك بعض أهل القرى والأرياف البعيدة عن الحضارة ، فإنها تتكلم بلهجات وألسنة متفرعة من اللهجات العربية الجاهلية ، كما الحال في مواضع من اليمن وفي العربية الجنوبية . ونجد في العربية الجنوبية قبائل تتكلم لهجات غريبة عن عربيتنا مثل اللغة المهرية واللغة الشحرية، واللهجات المسماة بألسنة (أهل الهدرة) . وهي لهجات لها صلة باللغات العربية الجنوبية الجاهلية وباللغات الإفريقية[1] .

---

١ Naval, PP., 374.

obeikandl.com